تنوير قلوب المسلمين بتاريخ أمهات المؤمنين

للعلامة المحقق الشريف الشيخ

محمد المصطفى بن الإمام العلوي الشنقيطي

وفقه الله تعالى

شرح به منظومة العلامة الشيخ غالي بن المختار فال الشنقيطي

لأنساب أمهات المؤمنين رضي الله عنهن

الطبعة الثانية

١٣٨٥ هـ — ١٩٦٦ م

في هذه الطبعة ضبط وتحقيق وتنسيق

وزيادات هامة



مطبعة المدني

٦٨ شارع العباسية بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكريم الذى اصطفى من عباده من شاء ، وجعلهم على وحيه أمناء ، ووفقهم فكانوا له أتقياء ، ومنّ عليهم فسماهم أولياء ، ووعدهم بالنعيم المقيم فى دار اليقين بالأكل والشرب واللبس من كل مايشتهون ، وبالتمتع بالأبكار العُرُب الأتراب الحور العين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة إخلاص ويقين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأزواجه أمهات المؤمنين .

(أما بعد) فيقول العبد الفقير إلى رحمة ربه الكريم القدير محمد المصطفى ابن الإمام بن عبد القادر بن سيد بن الحاج بن أَلِمَين بن حَرُّوش بن بَرْىَ بن عبد الله الملقب زَلْمَطْ بن أبوهم (كذا بالواو علم لا تؤثر فيه الإضافة) بن أبى دكَّة بن أبيجَ بن يحيى بن على بن يحيى بن على بن عبد الله المكنى بلَحْمَرْ بن عبد المنعم الملقب هُمُكْتُبْ بن على بن عبد الكريم الملقب يَمْجَ بن عبد الرحمن الملقب بَيْكِكَرْ بن عبد الله الملقب كَمْبَانَ بن جابر بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن إبراهيم بن عيسى بن إدريس بن محمد بن يوسف بن عبد النعيم بن زيد ابن عبد الواسع بن عبد الدائم بن عمر بن زرُّوق بن عبد الله بن عمر بن سعيد ابن عبد الرحمن بن سالم بن عَزُّون بن عبد الكريم بن خالد بن سعيد بن عبد المؤمن بن أبى يزيد بن رحمون بن زكرياء بن القاسم بن يحيى بن أبى على بن عبد الله الكامل بن محمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن بن على كرم الله وجهه بن أبى طالب ابن عبد المطلب[1] فهاهنا نجتمع مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى نسبه بعد

(١) (إيضاح بعض هذه الأسماء) «ألمين» أصله الأمين « حروش » صيغة =

كوننا أولاد بنته سيدتنا فاطمة الزهراء رضى الله عنها ـ (بقية التعريف) التِّجِجْقِي[١] منشأ ، الشنقيطى[٢] إقليماً ، العلوى نسباً ، المكى المدنى هجرة ومجاورة ـ إنه[٣] لما كان من المعلوم أن سيرة المصطفى ، ونسبه صلى الله وسلم عليه

= مبالغة من احترش أى اكتسب «برى» بفتح الموحدة وسكون الراء سمى به لاتقانه برى السهام (زلط) بفتح الزاى المغلظة وسكون اللام آخره طاء مهملة ساكنة لقب به لتدربه على التحفظ من آلات الحرب فى القتال « أبيج » أصله أبى جاء قالها فرحا بمجئ أبيه فسمى بها « بلحمر » أصله ابن الأحمر « همكتب » أصله همه أكتب أى قوله لتلميذه اكتب « يمج » أصله يا أمى جاء سمى بخطابه لأمه « بيككر » أصله يبكى كريراً لقب به لكثرة بكائه من خشية الله والكرير صوت صدر الباكى كأنه مخنوق وهذه صفة الباكى من خشية الله تعالى « كمبان » معناه كم أبان من غامض الأحكام . اختزلت هذه الأسماء كلها تخفيفا لكثرة استعمالها .

(١) نسبة إلى مدينة تججق بكسر التاء المثناة وجيمين متفشيتين أولاهما مكسورة والثانية ساكنة آخره قاف معقودة مفتوحة بدون هاء سكت وقد حرفه العامة فأدخلوا القاف بين الجيمين . وهى أول مدينة للعلويين تفرعت من مدينة شنقيط فى آخر القرن الحادى عشر من الهجرة .

(٢) قال العلامة مؤرخ زمانه (فتى بن الحاج) :

شنجيط أهله من ابناء على ... سليل يحيى بن محمد العلى
سليل إبراهيم نجل عيسى ... من ينتمى إلى الفتى إدريسا
أبوه عبد الله وهو الكامل ... لايأمل العلو عنه آمل
نظمت ذا من روضة الازهار ... فى ذكر آل المصطفى الأخيار

وقال شاعر أعدائهم إذا بلحسن ـ والحق ماشهدت به الأعداء ـ

بنو على ذوو عز ومكرمة ... وسؤدد قد علوا بالعلم أزمانا
لم يحذ حذوهم فى المجد غيرهم ... ولا أحاشى من الأقوام إنسانا
المجد مجدهم والعلم علمهم ... وكان أصلهم من لب عدنانا

(٣) مقول قوله سابقا « فيقول العبد الفقير » الخ .

من له اصطفى، وعلى آله وصحبه والخلفا ، ثم سيرة ونسب أصحابه أهل العهد والوفاء — من أهم ما اهتم به أهل العلم الشرفا ، ومن أحسن ذلك وأشرفه معرفة أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين الطيبات ، ثم ما اجتمعن فيه معه صلى الله عليه وسلم من الطبقات .

وقد كان فريد عصره وأوانه ، علامة قومه فى زمانه الشيخ غالى بن المختار فال بن أحمد تَلْمُودْ البصادى الشنقيطى نظم فى التعريف بهن وبأنسابهن نظماً بديعاً لم يأت الزمان بمثله مرتبا مهذبا :

بخل الزمان على الأنام بمثله　　　إن الزمان بمثله لبخيل

فأسرنى بل ألزمنى بشرحه للتقريب — الصاحب الكريم الأديب الصديق الصادق الحبيب أستاذنا العلامة الشيخ حسن بن محمد بن عباس المشاط المكى مدرس العلوم بالمسجد الحرام حسب صدق نيته وصفاء طويته فظن أنى أصلح لهذا الشأن بل أنى راكب على المجلِّى فى الميدان[1] وأنا معترف بالجهل والعجز

---

(١) (فائدة) المجلى هو السابق فى الحلبة « بفتح الحاء المهملة وسكون اللام » وهى الدفعة من الخيل فى الرهان ، أخرج الطبرانى من حديث ابن عمر (ما تشهد الملائكة من لهوكم إلا الرهان والنضال) والرهان كسهام تراهن القوم بأن يخرج كل واحد منهم رهنا ليفوز من غلب منهم بالكل ، والنضال كسهام أيضا : الرمى وتناضل القوم تراموا .

قال الشاعر :

أتانى المجلى والمصلى وبعده الـ　　　ـمسلى وتال بعده عاطف يسرى
ومرتاحها ثم الحظى ومؤمل　　　وجاء اللطيم والسكيت له يجرى

فالمجلى : هو الفرس السابق الأول ، والمصلى بوزنه وهو الذى يتبع السابق ، والمسلى : بوزنه هو الثالث ، والتالى : الرابع ، والعاطف : الخامس ، والمرتاح : السادس وعده فى القاموس الخامس ، والحظى بفتح فكسر : السابع ، والمؤمل بضم وفتح الثانية مشددة الثامن ، واللطيم كأمير التاسع ، والسكيت بضم السين المهملة مشددة مصغرا : العاشر وهو آخر خيل الحلبة .

قال أسيرُ ذَنبِه المعترِفُ لربِّه بكل ما يَقتَرِفُ

وقلة الإتقان ، لـكن لما كان هذا من خدمة سيد الأنام التى هى غاية المرام ـ ألجأنى ذلك إلى إجابته ـ فشرعت فى شرح يبين معانيه ، و يوضح ألفاظه ومبانيه وسميته « تنوير قلوب المسلمين ، بتاريخ أمهات المؤمنين » ...

فأسأل الله الـكريم العون بحوله وقوته ، وأن يوفقنى للصواب من ابتدائه إلى انتهائه ، وأن يجعله خالصاً لوجهه، نافعاً لقارئه ؛ إنه على مايشاء قدير، وبالإجابة جدير . ولا حول ولاقوة إلا بالله العلى الـكبير ـ فأقول شارحا قول الناظم :

(أسير ذنبه) قال فى القاموس : الأسير الأخيذ والمقيد والمسجون ؛ والمراد بهذا اللفظ عند عباد الله الصالحين التواضع لله تعالى والإعتراف بالتقصير فى حق العلىِّ الـكبير لأن العبد لو لم يعص الله قط لم يقدر على القيام بحق الربوبية فهو فى الحقيقة بالنظر إلى ذلك مقيد مأسور لعدم القيام بالواجب ولا يطلقه إلا عفو الـكريم مع أن العصمة لم تـكن إلا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولو أتى العبد بملء السموات والأرضين من الطاعات ولم يُلْبِسْه بظلم لم يزِن عمله نعمة واحدة من نعم الله تعالى عليه .

فانظر وفقنا الله وإياك إلى قصة الرجل الذى صحح الحاكم حديثه عن جابر رضى الله تعالى عنه : قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

« خرج من عندى خليلى جبريل آنفاً فقال يامحمد والذى بعثك بالحق إن لله عبداً من عباده عبد الله خمسمائة سنة على رأس جبل فى البحر عرضه وطوله ثلاثون ذراعاً فى ثلاثين ذراعاً والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية وأخرج له عيناً عذبة بعرض الأصبع تبضُّ بماء عذب فيستنقع فى أسفل الجبل وشجرةَ رمان تخرج له كل ليلة رمانة ، يتعبد يومه فإذا أمسى نزل فأصاب

من الوضوء وأخذ تلك الرمانة فأكلها ثم قام لصلاته فسأل ربه عند حلول وقت أجله أن يقبضه ساجداً وأن لا يجعل للأرض ولا لشىء يفسده عليه سبيلا حتى يبعثه الله وهو ساجد ففعل فنحن نمر عليه إذا هبطنا وإذا عرجنا فنجد له فى العلم أنه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدى الله تعالى فيقول الرب أدخلوا عبدى الجنة برحمتى فيقول ربِّ بل بعملى فيقول أدخلوا عبدى الجنة برحمتى فيقول ربِّ بل بعملى فيقول تعالى قايسوا عبدى بنعمتى عليه وبعمله فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة وبقيت نعمة الجسد فضلا عليه فيقول أدخلوا عبدى النار فيجرُّ إلى النار فينادى ربِّ برحمتك أدخلنى الجنة فيقول ردوه فيوقف بين يديه فيقول ياعبدى من خلقك ولم تك شيئاً فيقول أنت يارب ، فيقول من قوّاك لعبادة خمسمائة سنة فيقول أنت ياربِّ، فيقول من أنزلك فى جبل وسط اللجة وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح وأخرج لك كل ليلة رمانة وإنما تخرج مرة فى السنة وسألته أن يقبضك ساجداً ففعل فيقول أنت يارب قال فذاك برحمتى وبرحمتى أدخلك الجنة أدخلوا عبدى الجنة فنعم العبد كنت يا عبدى فأدخله الله الجنة قال جبريل إنما الأشياء برحمة الله يا محمد » انتهى من (كتاب الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى فى فصل ذكر الحساب) .

فانظر ماذا بقى عليه من نعم الله تعالى فى بدنه من السمع والشم والذوق والقوّة والعافية ، ثم ماذا يدفع الله عنه من البلايا والمحن والفتن ، وأيضاً فالتوفيق للطاعة نعمة من الله تعالى ولو لم يعط الله تعالى لعبده إلا الموت على الإيمان لكفاه ذلك من الدنيا ، اللهم أمتنا على أكمل الإيمان .

وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث الصحيحين (واعلموا أنه لن =

.. ..

= يدخِل أحدَكم عملُه الجنة وفى رواية لن ينجى أحداً منكم عملُه قالوا ولاأنت يا رسول الله ؟؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته الخ رواهما البخارى فى (كتاب الرقاق فى باب القصد والمداومة على العمل) ورواه مسلم وغيره .

فعلمنا باليقين من خبر الصادق المصدوق أنه لا يعول إلا على محض رحمة الرحمن سبحانه وتعالى .

ولا يشكل قوله تعالى ﴿ أُدخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ وما أشبهه من الآيات التى يقتضى ظاهرها أن الأعمال الصالحة تدخل عاملها الجنة فإن ذلك على ما بينه المفسرون إنما هو فى تفاضلهم فى منازل الجنة ودرجاتها بعد الدخول فيها ، بقدر صالحات أعمالهم ، وأما أصل دخول الجنة فما هو إلا بمحض فضل الله الكريم ورحمته .

اللهم أدخلنا الجنة بفضلك وارحمنا برحمتك وأرِنا وجهَك بكرمك وأمِّنا من غضبك يا أرحم الراحمين آمين .

وقوله (يقترف) مضارع اقترف بالقاف أى أصاب يعنى أنه معترف مقر لربه تعالى بكل ما اكتسب من الذنوب ، والاعترافُ للكريم من المخلوقين بماله على المعترف من الحقوق يستجلب عفوه فكيف بالخالق وهو أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين .

وقوله ﴿ من ضيع العمر . . الخ ﴾ من بدلٌ من أسير والعمر مفعول ضيع قال فى القاموس أضاع الشىء أهمله وأهلكه كضيعه ، وفى المثل (الصيف ضيعتِ اللبن) بكسر التاء ولو خوطب به المذكر والجمع وقد خوطبت به امرأة كانت تحت رجل موسر فكرهته لكبر سنه فطلقها فتزوجها مُمْلِقٌ فبعثت إلى الأول

تستمنحه ، فقال ذلك لها ، أو طلق الأسود بن هرمز امرأته العنود الشنيئة رغبة عنها فى جميلة من قومه ثم جرى بينهما ما أدى إلى المفارقة فتتبعت نفسه العنود فراسلها فأجابته بقولها :

أتركتنـــا حتى إذا علِّقت أبيض كالشَّطن
أنشأت تطلب وصلنا فى الصيف ضيعتَ اللبن

وعلى هذا فالتاء مفتوحة انتهى المراد منه .

(قلت) ولا يخفى على أهل العلم رجحان اللفظ الوارد فى الشعر على غيره(١) .

وقال النويرى فى « نهاية الأرب » وقال أبو عبيد أول من قاله عمرو ابن عُدَس وكان قد تزوج دَختنوس (بنت لقيط بن زرارة التميمى) بعد ما كبر فكان ذات يوم نائماً فى حجرها فجخف (أى شخر) وسال لعابه فتأففته فانتبه وهى تتأفف منه فقال أتحبين أن أطلقك قالت نعم فطلقها وتزوجها فتى نضير حسن الوجه ففجأتهم ذات يوم غارة والفتى نائم فجاءت دَختنوس فأنبهته وقالت الخيل فجعل يقول الخيل الخيل من الخوف حتى مات فرَقاً وسبيت دختنوس فبلغ عمراً الخبر فركب ولحقهم وقاتل حتى استنقذها فوضعها قدامه على السرج وردها إلى أهلها ثم أصابتهم سَنة (أى مجاعة) فبعثت إليه تقول نحتاج اللبن فبعث إليها بلقحة وقال (الصيف ضيعت اللبن) الخ .

ثم يقول « الناظم » رحمه الله تعالى تواضعاً للعلى المتعالى جل جلاله إنه ضيع عمره فى الاشتغال عن العلَى أى الأفعال التى ترفع صاحبها إلى الدرجات العليا وهى الاجتهاد فى طاعة الله تعالى بامتثال أمره واجتناب نهيه والتقربُ إليه بالنوافل مع موافقة السنة وفى الحديث القدسى (من عادى لى وليا فقد آذنته =

(١) أى إذا لم يكن عن ضرورة شعرية .

.. ..

= بالحرب وماتقرّب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه ومايزال عبدى يتقرّب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به و بصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يسعى بها ولئن سألنى لأعطينّه ولئن استعاذ بى لأعيذنّه وما ترددت فى شىء أنا فاعله تردُّدى عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا اكره مساءته) رواه البخارى فى (كتاب الرقاق فى باب التواضع) .

وهذا من تواضع الناظم ونظره إلى مايستحقه مولانا عزّ وجلّ فإنه لايحصى مخلوق الثناء عليه هو كما أثنى على نفسه .

وأما ما ضيّع الناظم فيه عمره بالنظر إلى أبناء جنسه فهو فى الظاهر من أحسن ما يكون لأنه كمّل عمره فى تعلم العلم والعمل به وتعليمه .

ومن مِنَن الله تعالى عليه وعلى أهل قطره أنهم لا يأخذون على تعليم العلم شيئاً من الدنيا حتى ينقص من أجورهم ولا يعرف ذلك فى بلاد شنقيط إلا فى تعليم القرآن للصغار فقط .

(وقوله وهو العبيد غالى) أقتصر على اسمه فى تعريفه لأنه فريدَ عصره ووحيد دهره فى قطره يعرفه الجهال والصغار فضلا عن العلماء والكبار لكن لما كنا فى غير قطره يحسن أن نذكر نبذة فى التعريف به .

التعريف بالناظم وقبيلته فى شنقيط

فهو غالى بن المختار فَالْ بن أحمد تَلْمُوذْ البُساتى من أعيان علماء شنقيط وهو عِقد قبيلته الوسيط ، وقبيلته معروفة بالصلاح وحسن الديانة وحسن السيرة من الحلم والصبر وتحمل الأذى والدهاء مملوئين من الخير ولا شرّ فيهم =

.. ..

= يعرفون نعمة الله ويقيدونها بالشكر و يتفاءلون الحسن دائما حتى إنهم يسمون المدافع أى البنادق بالأقلام ، و يسمون صريخ النذير الخائف بالأذان ، معروفين بصحة الخبر ، و إليهم المنتهى فى معرفة قص الأثر أعنى أثر الأقدام فى الأرض سواء كان أثر آدمى أو حيوان المعروف عند المشارقة بالجرَّة بضم الجيم وفتح الراء المشددة .

(وفى المثل) عند الشناقطة لا يحفظ النعمة إلا ثلاثة آنخوَّل وهو فحل الإبل المعدّ لضرابها ، والناقة الماخض أى قريبة الولادة ، والبساتى لأن الأولين إذا هجت الإبل لا يهيجّان معها أعنى إذا جفلت وجرت لا يجريان معها ، والبساتى إذا استغنى لا يبطر بل يجتهد فى عبادة الله تعالى و يزداد تواضعا ويصدق عليه قول الشاعر فى البيت الثانى من هذين البيتين :

إذا امتلأت كف اللئيم من الغنى ترفع كالمرحاض فاح وأنتنـــا
وإن كريم الأصل كالغصن كلما تزايد من خـــير تقاصر وانثنى

وهذا بالنظر لأكثرهم ولا عبرة بالأقل .

واسم القبيلة (إدَوْبُساتْ) بكسر الهمزة وفتح الدال المهملة وسكون الواو وضم الباء الموحدة وفتح السين المهملة الممدودة بالألف آخره تاء مثناة من فوق ساكنة و يقولون فى النسبة أيضاً بصادى بالصاد والدال المهملتين .

وكان غالى هذا من ذؤابة أهل عزهم ، وربّته أمه أحسن تربية ، ولها فى ذلك حكايات عجيبة فقد أخبرنى صديقنا الصادق الثقة الأستاذ محمد عبد الله بن المختار قال وهو من ذريته أنها كانت لا توقظه من النوم ولا ترضى لأحد أن يوقظه ، ولا يقوم من نومه إلا وضعت فى فمه حلاوة وكان من أمرها أنها ذهبت به زمنا مع رعاة الإبل لتعيش باللبن مدة على عادة نساء بلدها فى طلب سمن أجسامهن =

.. ..

= بكثرة شرب اللبن فأرادوا الرحيل يوماً وهو نائم فقالت لهم لاتوقظوا ولدى فقالوا لابد من الرحيل فقالت لهم خذوا قلادتى ولا ترحلوا حتى يستيقظ ولدى ففعلوا ، وقلادتها ربما تساوى عدداً من الإبل .

ولما بلغ سن التعليم اجتهد فيه حتى فاق كثيراً من أقرانه واشتهر بعلم السيرة والعربية وكان شاعراً مفلقاً حسن النسج رائق اللفظ مقبولا أديباً ذكياً أريباً فاضلا حيياً ديناً حليما سخياً عفيفاً ظريفاً مرضياً ، له أشعار كثيرة جيدة ويشهد له هذا النظم وكذلك نظمه للسرايا والبعوث الذى أوله بعد الخطبة :

أول من بعثـــه النبىُّ عُبيدة بن الحارث المرضىُّ
مرجعَه من غزوة الأبواء صلى عليـــه رافع السماء
وجيشه عشرون أو يزيد عشرين كلٌّ فاضـلٌ مجيد

وقد أقر له علماء وقته حتى قال فيه عالم أدبائهم وأديب علمائهم حرمة الله ابن عبد الجليل العلوى :

لله درُّك ما أغلاك من غالى ياذا البصادى وما أعلاك من عالى
لله درُّك فى عـلم وفى أدب لله درك فى قول وأفعـــال

﴿ طريفـة ﴾ :

ومما يستطرف أن بعض الأدباء قال له شخص أريد أن أسمعك أبياتاً قلتها قال هات فأنشده إياها فلم يقل السامع شيئاً فقال له الشاعر كيف وجدت أبياتى فأعرض عنه فألحَّ عليه أن يجيبه فقال له أشعر منك (غالى) حيث قال :

أبى الشعر إلا أن يكون ارتجاله عزيزاً إذا لم ترتجـــله رجالُه
فـكم جال فى ميدانه متشاعر يرى أنه سهـل السبيل مجـاله

. . . .

= فحادت به الألحان عن صوب قصده وألقته فى الجفر المُجَوَّخ جالُه

« الجفر » بفتح الجيم وسكون الفاء البئر « والمجوخ » بضم الميم وفتح الجيم والواو آخره خاء معجمة : المهدوم « والجال » بالجيم : الناحية ، والمعنى ألقته الألحان فى البئر المهدومة النواحى كنى به عن شدة خطئه فى الشعر .

ومن بديع شعر (غالى) قوله :

أثارت محيلاتُ الديار الدوارس لقلبى تليدات الهوى والهواجس

لِسلمى عفتها المزن حتى كأنها بقايا زبور فى بطون القراطس

وغيَّر منها للحسان ملاعبا ملاعب صيفىٍّ الرياح الروامس

سقتها السماء الفرتين وعلَّها من الدلو يَعلول الغمام الرواجس

ولا زال مربوع الأزاهر كاسيا رباها بنوعى حليـة وملابس

ملابس من حوك الولى كأنما عليهن منها عبقريُّ الطنافس

ديار قضينا للشبيبة حقها بهن بوصل المنعَمات الأوانس

أوانس بيض مفعمات حجولها قصائر عين كالظباء الكوانس

عفائف لا تعطى القياد وشدَّ ما تملكن قيـاد الملوك الأشاوس

وله أيضاً :

وبعد فاللغة مَن عَـدانا يمكث بين أهلها عَدانا

يسائل الصميم والرَّدانا والحَشَم الخـوَل والعبدانا

« العدان » بفتح العين علم على جزء من الزمان وهو سبع سنين يقال مكثوا فى غلاء السعر عدانا يعنى سبع سنين أوعدانين يعنى أربعة عشر عاما ، «والردان» من لاغناء عنده ، «والحشم» عيال الرجل وخدامه وقرابته ، « والخول» رعاة =

. . . .

= الماشية ، وفى البيت الأول نوع من البديع وهو الجناس التام لأن عدانا فى الشطر الأول مركب من عَدَا التى هى أخت حاشا وخلا ومن نون الضمير الدال على المتكلم المعظم نفسه أو معه غيره ، وعدانا فى الشطر الثانى علم على جزء من الزمان وهو سبع سنين .

وعند أهل البديع هو الملفوف المتشابه وهو ما تركب من كلمتين تامتين ومعنى المتشابه أى المتفق فى الخط ومنه قول البستى :

إذا ملِكٌ لم يكن ذاهِبَه فدعْه فدولته ذاهبه

فالاولى بمعنى لم يكن صاحب عطية والثانية بمعنى غير باقية .

وقول الآخر :

عضَّنا الدهر بنابه ليت ما حلّ بنابه

فالمراد بنابه الأولى السن المعروفة كنى بها عن شدة الدهر والثانية مركبة من بنا و به أى ليت ما حل بنا حل به أى بالدهر .

وكقول الآخر :

عارضاه بما جنى عارضاه أودَعانى أمُتْ بما أودَعانى

وفى رواية ناظراه بما جنى ناظراه الخ .

فعارضاه الأولى فعل أمر للمخاطبَين من المعارضة ، وكذلك ناظراه من المناظرة ، وعارضاه الثانية تثنية عارض الوجه وكذلك ناظراه الثانية تثنية ناظر وهو سواد العين ، ولفظ أودعانى الأول مركب من أو التى هى حرف تقسيم ومن فعل أمر للمخاطبَين بمعنى اتركانى ، وأودعانى الثانى مركب من فعل ماض وفاعله ومفعوله ونون الوقاية أى بما تركاه فىَّ من العشق .

. . . .

ومن شعر (غالى) فى قضاة الجور فى زمانه ، وليت شعرى لو كان فى زماننا ماذا يقول ؟ فحسبنا الله ونعم الوكيل :

إلى رافع الشكوى رفعنا يد الشكوى
من أقضية بالجور عمَّت بها البلوَى

قضاء قضاة جامحات نفوسهم
عن الحق لا يقضون إلا بما تهوى

تصدَّر للافتاء والحكم منهم
مجانين لا يدرون ما الحكم والفتوى

إذا لاح وجه الحكم بالحق أعرضوا
جنوحا لراشيهم وإن ناقضت دعوى

فعوذًا بوجه الله مما أصابهم
وويل لهم إن الجحيم هى المأوى

ألا فارتشوا ما شئتم إن حسبكم
جهنم إذ تصلونها لكم مثوى

ففيها رحىً يوم القضاء معدَّة
لتشديخ هام الحاكمين بلا تقوى

وقد ذكر حفيده العلامة محمدعبد الله بن المختار فال قصائدَ من شعره فى ترجمته فى تأليفه المسمى (وسيلة الخليل إلى بعوث صاحب الإكليل) .

وكان رحمه الله فى قبيلته كما قال حسان رضى الله تعالى عنه :

صقر توسط فى الأنصار منصبه
سمح السجية محض غير مؤتشب

وحكى من كراماته أنه لما حضرته الوفاة قيل له كيف حالك فقال بخير إلا إنى ما بقيت منكم فهذه أمهات المؤمنين رضى الله تعالى عنهن يتنازعننى كل واحدة تريد أن تذهب بى .

ولعل ذلك كان مكافأة له على هذا النظم والله أعلم .

تابَ عليه ربُّه ووَفَّقَهْ وأصلَحَ الرَّجا له وحققَهْ

حتى ينالَ آمِناً ما يرتَجِى من كل خيرٍ بافتِتاحِ المرتَجِ

وتوفى رحمه الله فى أواسط القرن الثالث عشر وهو وطبقته جمعوا بين القرنين الثانى عشر والثالث عشر من الهجرة النبوية .

ثم قال الناظم رحمه الله :

(تاب عليه ربه) أى وفقه للتوبة أو رجع به من التشديد إلى التخفيف أو رجع إليه بفضله وقبوله وهو تعالى تواب على عباده (و وفقه) أى خلق فيه قدرة على طاعته وضد التوفيق الخذلان بكسر الخاء المعجمة ، نسأل الله العافية والتوفيق بمنه (وأصلح) ضد أفسد (الرجا) بالمد ضد اليأس قصره للوزن و يقال بالقصر والمد معاً لناحية البئر وغيره (وحققه) أوجبه (حتى) [1] حرف

---

(١) (فائدة) تأتى حتى لمعان كثيرة منها ما أشار إليه ناظم (السبك العجيب لمعانى حروف مغنى اللبيب) بقوله :

للانتهاء حتى وللتعليل كذاك إلا قل على قايل

جرٌّ لها مثل إلى لكن أتى خلف لها من أوجه فلتثبتا

عاطفة لشبهها بالواو والفرق ظاهر كما للراوى

حرف أتى للابتدا وعممن فى اسمية فعلية وانتبهن

و بمناسبة دخولها هنا على المضارع ونصبها له نذكر مانظمه آخر من معانيها بقوله :

حتى تكون حرف جر يافتى وحرف نصب للمضارع أتى

وحرف عطف ثم حرف الابتدا أربعة تجدها مؤكدا

كمطلع الفجر وحتى يحكما والناس جاءوا كلهم حتى العما

ياعجبا حتى الكليب سبنى حتى الجياد مالها من أرسن

فجاء بالأمثلة بعد المعانى على اللف والنشر المرتب .

أحمدُك اللّهمّ بالصلاةِ على الأمين دائِمِ الصّلاَتِ
والآلِ والأصحابِ والأزواجِ ما ابتهجَ النساء بالزواج

=غاية لإصلاح الرجاء له وتحققه، وقوله (آمناً) حال من فاعل ينال العائد على العُبيد فى قوله « وهو العبيد غالى » و (ما) موصولة مفعول ينال و (المرتج) معناه المغلق، وكل جملة فى البيت خبرية لفظا إنشائية معنى ؛ يعنى أنه يطلب من الله الكريم أن يتوب عليه و يوفقه و يصلح رجاءه و يحققه و يعطيه كل ما يطلبه و يحبه و يؤمّنه من كل ما يخاف و يفتح له كل مغلق صعب من العلوم بأن ينوّر بصيرته و يلهمه كل ما يقرّ به و يدنيه إلى ما يحبه ربنا و يرضاه، وأنا أرجو ربى الكريم أن يرزقنى ذلك من فضله .

وقد مددتُ يدى بالذل صاغرةً إليك يا خير من مُدت إليه يدُ
فلا تردّنها يا رب خائبة فبحر جودك يروى كل من يرد

* * *

الحمد : هو الثناء باللسان على المحمود إما على جميل فواضله كهبات المال وغيره من الأفعال الجيدة . وإما على جميل فضائله كالعلم والشجاعة وغيرها من الصفات الحميدة، والشكر : تعظيم على الإنعام باللسان والجنان والأركان كما قال الشاعر :

أفادتكم النعماء منى ثلاثة يدى ولسانى والضمير المُحَجّبا

فآلة الحمد اللسان وسببه وصف حميد أو فعل مجيد، وآلة الشكر الثلاثة اللسان والجنان والجوارح وسببه فعل مجيد لذى الانعام، وينفرد الحمد بالثناء به على نحو العلم وينفرد الشكر بثناء القلب على الإحسان .

.. ..

وقوله (بالصلاة) الباء بمعنى مع وهو أحد معانيها الأربعة عشر التى أشار لها ناظم السبك العجيب بقوله :

وذكروا للبَا معانى عشره وأربعا أصلها الإلحاق فَرَهْ .. الخ

ومما جاءت فيه الباء بمعنى مع قوله تعالى ﴿ اهبط بسلام منا ﴾ أى معه .

فالمعنى والله تعالى أعلم أحمدك اللهم مع الصلاة على الأمين الذى هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (دائم الصلات) بكسر الصاد المهملة جمع صلة وهى الفائدة وهو صفة للأمين لأن صلات الله تعالى لم تزل تجرى عليه كل يوم فهو صلى الله عليه وسلم دائم الترقى والازدياد من فضل ربه تعالى .

وآل النبى صلى الله عليه وسلم بنو هاشم على الصحيح لكن ينبغى أن يكون المراد هنا أمة الإجابة لأن التعميم يطلب فى مقام الدعاء ، وأصحابه كل من اجتمع به مؤمنا به ، وأزواجه النساء اللاتى تزوج بهن وهنّ موضوع هذا الكتاب أعنى اللواتى أجمعت الأمة على استمتاعه بهن وسيأتى إن شاء الله تعالى فى تعريفهن ما يشفى الغليل .

وقوله (ما ابتهج النساء) . . . الخ الابتهاج السرور والفرح والاستبشار ، وما مصدرية ظرفية بمعنى دوام أو مدة سرور النساء بالزواج وذلك لا ينتهى إلا بانقراضهن لأنهن مجبولات على حب الزواج ، وحسبك ما أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم قال (فضل ما بين لذة المرأة ولذة الرجل كأثر المخيط فى الطين إلا أن الله تعالى يسترهن بالحياء) وروى أيضاً (فَضَلت المرأةُ على الرجل بتسعة وتسعين جزءاً من اللذة) ولا يخفى ما فى كلام الناظم من براعة الاستهلال . ثم قال رحمه الله :

هذا وإنّ عِلْمَ أزواجِ النبي ... وما لَهُنّ من شريف النسب
وما اجتمعْنَ معه فيه مِن أبْ ... علمٌ شريف كسبائك الذهبْ
يَلَذُّ في الأسماع والطباع ... .

علم نسب الزوجات الشريفات علم شريف لذيذ

(هذا) مبتدأ خبره محذوف أو العكس أى هذا الأمر أو الأمر هذا يعنى أن الذى حمله على وضع هذا النظم كون معرفة أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ومعرفة أنسابهن ومحل اجتماعهن معه فى النسب من أشرف العلوم ، وشبّهه فى الحسن . بسبائك الذهب ؛ جمع سبيكة كسفينة وهى القطعة المذابة . وهذا عندنا من قلب التشبيه لأن هذا العلم أحسن وأغلى وأثمن من الذهب .

القول فى اللذة وأثرها فى النفس

ثم قال رحمه الله (يلذ فى الاسماع والطباع) اللّذة نقيض الألم واللّذُّ النوم واللذيذ : الخمر كاللّذة قال تعالى (يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذةٍ للشاربين) وقال تعالى (وفيها ماتشتهيه الأنفس وتلذ الأعين) إلى غير ذلك من الآيات ووردت كثيراً فى الأحاديث وفى كلام الصالحين .

قال مسلم بن يسار: ماتلذذ المتلذذون بمثل الخلوة بمناجاة الله عز وجل ،وقال مسلم بن عابد : لولا الجماعة ماخرجت من بابى أبدا حتى أموت وقال : مايجد المطيعون لله تعالى لذة فى الدنيا أحلى من الخلوة بمناجاة سيدهم ولا أحسب لهم فى الآخرة من عظيم الثواب أكبر فى صدورهم وألذّ فى قلوبهم من النظر إليه تعالى ثم غشِى عليه .

واستعماله فى الشعر كثير ، ومما ينسب إلى الإمام الشافعى رضى الله عنه وقد وقفت على نسبته لغيره فى بعض الكتب .

.. ..

لَعمرى لَنومى فى رماد مدارسى　　تخش خشاش الأرض تحتى كهالك

ألذ لنفسى من عناق خريدة　　تقر بها العينان فوق الأرائك

ومنه ما أنشدنى صديقنا العلامة صاحب النفس الزكية . والأقوال المرضية والأفعال السنية الشيخ حسن بن محمد بن عباس المشاط . عازيا للشيخ مشيخ « كمظم » الذى أصله من حضرموت وكان مجاوراً بالمدينة المنورة .

لَخبز شعير تافل غير مالح　　بغير إدام والذى يسمع النجوَى

مع الفقر فى دار الحبيب محمد　　ألذ على قلبى من المنِّ والسَّلوى

على أننى فيها على كل حالة　　غنى بتيسير الأمور كما أهوَى

ومنه أيضاً قول العالم الجليل أديب أدباء شنقيط سيدى عبد الله بن محم ابن القاضى بن الطالب بن حبيب بن محمد بن أبيجَ العلوى المعروف بابن رَازِقَه :

إذا جُلت فكرى فى العلوم عويصها　　وجئت بما يشفى غليل عميدى؟

تصاغرت الدنيا علىّ وأهلها　　ومادت بىَ الأفراح كل مميد

وقلت اللذيذ البحث فى العلم وحده　　وكل لذيذ غيره كهبيد(١)

أساليب إعجاز كواعب حسنها　　تغانين عن قيس الفلا ولبيد

نادرة ابن رازقة مع سلطان المغرب

وقال أيضا فى غريبته النادرة مع سلطان المغرب : إن السلطان مولاى اسماعيل أو ابنه عبد الله « والشك منى » أحضر « ابن رازقه » للامتحان =

---

(١) الهبيد حب الحنظل وقيل شحمه والحنظل يسميه الشناقطة حرج الحمار. ويسمون حبه الشنبان ويسمون شحمه لحم الجدج .

.. ..

= مع جمع من العلماء «وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان» فسبق لسان الأستاذ في الوخيد بالدال المهملة وهو ضرب من سير الإبل فقال الوخيذ بالذال المعجمة فقال له السلطان هذا لحن وكان السلطان بارعاً في العربية فأصر الأستاذ وقال بل هو صحيح فقال له السلطان عليك الدليل من كلام العرب فقال نعم وأنشأ يقول .

فقلت لصاحبي لمـا ارتحلنا وقد شرع النجائب في الوخيذ
تمتع من لذيذ كلام حَـورًا فمـا بعد العشية من لذيذ

فقال له السلطان من أين لك هذا ؟ فقال عندى ورقة قديمة من كتب أوائلى فيها مقطعات من الشعر «وأضمر في نفسه غير هذا» احترازا من الـكذب فقال له السلطان أرنيها غدا فقال إن شاء الله تعالى فأخذ تلك الليلة ورقة وملأها من قِطع الشعر وجعل البيتين وسطها ودهنها وسخّنها على النار حتى شربت السمن وكادت أن تسودّ ثم أتاه بها في الغد فلما نظرها السلطان قال سبحان الله ما أشبَهَ هذا بشعرك وخطك ولـكن هذا قديم جدا وكان السلطان عالما جليلا وكان عظيم الخبرة بشعر الأستاذ وخطه لـكثرة ممارسته له وقراءته عليه فلما علم أن السلطان صدّقه وأذعن لقوله قال له : أعلم أن هذا ليس بصحيح وإنما علمت أنك لا تصدقني إذا قلت لك إنها زلة لسان مني فعملت هذا فازداد عنده عزا ورفعة .

سبب تسميته بابن رازقه

وسبب تسميته بابن رازقه كما حدثتني ابنة عمنا النسابة السيدة عائشة المشهورة باعْوَيشِينْ «بتصغير التكريم والمحبة» بنت محمد الأمين بن محمد بن حرمة الله ابن عبد الجليل ابن الحاج بن سيد الحسن بن القاضي بن الطالب بن حبيب ابن محمد بن أبِيجَ العلوية أم أولاد ابن عمها العارف بالله الشيخ محمد الـكبير

.. ..

= ابن أحمد ابن محمّ بن العباس العلوى أيام إقامتها عندها بالمدينة المنورة عام ١٣٦٠ م ستين وثلاثمائة وألف قالت نشأ سيدى عبد الله بن محمّ ابن القاضى بن الطالب بن حبيب بن محمد بن أبييجَ العلوى بليداً لا يفهم شيئا من العلم وأيس منه والده وكرهه لذلك حيث إنهم بيت علم وصار يعيبه ويقول له أنت لست بولدى فتقول له زوجته رازقة أم سيدى عبد الله المذكور وهى بنت أبى إسحق بن أحمد بن أبييجَ بنت عم زوجها : هو ولدى أنا وهو خير أولادى فصار يقال له ابن رازقة براء مفتوحة بعدها ألف فزاى ساكنة فكاف معقودة بعدها هاء السكت ، ولم يزل أبوه كذلك معه إلى أن سافر معه مرة فى ركب وباتوا عند حىّ فذهب الولد إلى محل الشبان واللهو والغناء فجاء آخر الليل وقال لوالده أين عشائى فقال له أنت لست بشئ حتى يترك لك عشاء أين كنت طول الليل ؟ قال كنت عند المغنين فقال له وما عندك لحضور الغناء وأنت أبلد الناس قال ما تكلموا فى بحر إلا عرفته وحفظت ما أنشدوا فيه وكان من عادة علمائهم المتفننين أن تكون لهم يد فى معرفة فن الغناء مع تباعدهم عنه فقال له والده تعال أخبرنى بما قالوا فذكر له كل بحر تكلموا فيه وأنشده جميع ما أنشدوا فسرّ والده بذلك جداً وقال لأهل الحى أنحروا ناقتى هذه عشّوا منها ولدى إذا لم يكن عندكم ما تعشونه به وكان هذا أول نبوغه ولم يزل يترقى حتى صار أعجوبة زمانه فى كل فن لا سيما فى الفقه والأدب .

القول فى الغناء وبحوره وحكمه شرعا

وبمناسبة ذكر الغناء فى هذه القصة نقول إن للغناء بحورا معلومة عند أهله من أسمائها لِبْتَيْتْ = وَنْكَرْ = وَسِنْيمَةْ إلخ ينظمون فيها كلامهم العامى الملحون كما ينظم الشعراء كلامهم العربى الفصيح فى بحور الشعر المعروفة.

التى هى الطويل والمديد إلخ ، والغناء بكسر الغين المعجمة والمد ، وقد عدّه جدنا سيدى عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوى من الباطل وبيّن اختلاف أهل العلم فى حكمه فى منظومته المسماة « رشد الغافل » وشرحها وأول المنظومة :

الحمد لله الذى هـــدانا ... للحق والباطلَ قد أبانا

إلى أن قال :

ومنه عُـــدّ لذة الغناء ... ترنُّمُ المنشد باعتــلاء
وسامع كمنشد ويستوى ... الباطنى والظاهرى فيما رُوى
من الجواز ومن المنع ومن ... وقف إذا بآلة لا يقترن
إلا فمنعـــه بالاتفاق ... فى غير جائز كالإشتياق
لله والأفراح كالولائم ... والعيد والحفظ ويوم القادم
والعُرس والتنشيط وضع الولدِ ... واستمع الُحدا وسَردَ منشدِ
دون تعلق بأمرٍ إمْرِ ... مِن كالهجا والقذف وصف الخمر
من غير آلة غناء العُرب ... وهو الذى يدعونه بالنَّصَب
لا فرق بين حكمه ملحونا ... وحكمه بالعربى موزونا

والضمير فى قوله (ومنه) عائد على الباطل وقوله (لذة الغناء) إضافته بيانية أى اللذة التى هى الغناء و بين معناه لغة بقوله (ترنم المنشد باعتلاء) أى تطريبه مع رفع الصوت والمراد بالتطريب التأثير فى النفس فيشمل ما كان محزناً كتغريد الحمام وهو طبع معروف عند أهل الطبوع ، وأنه يستوى المنشد والسامع فى الحكم ، كما أن أهل العلم الظاهر وأهل العلم الباطن سواء فى حكاية الخلاف فى حكمه على الأقوال الثلاثة المروية فيه وهى الجواز والمنع والوقف ، وهذا

.. ..

إذا لم يقترن بآلة من آلات اللهو كالعود والأوتار ، أما إذا اقترن بها فيمنع اتفاقا عند أهل الظاهر وأهل الباطن أيضاً إلا الغبرى وإبراهيم بن سعد وهما ضعيفان لا يعتبر خلافهما ، ثم إن الاتفاق على منعه بآلة إنما هو فى غير حالات نص على جوازها وأما فيها فيجوز بل قد يندب ومنها ما إذا كان يحرك الشوق إلى الله تعالى كما وقع للجزولى لما سمع ببغداد من ينشد .

إذا العشرون من شعبان ولت   فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صِغَار   لقد ضاق الزمان على الصغار

فخرج هائماً إلى مكة وجاور بها إلى أن مات ، أخذ من قوله ولا تشرب بأقداح صغار أن كل ما فى العراق صغار ، ومنها ما فى الأفراح كالولائم .

القول فى الولائم وأسمائها

الولائم اثنتا عشرة نظمها بعضهم بقوله :

أسام الطعام اثنان من بعد عشرة   سأسردها مقرونة ببيان
وليمة عُرس ثم خُرس ولادة   عقيقة مولود وكِيرة بان
وضيمة ذى موت نقيعة قادم   عذيرةُ أو إعذار يوم خِتان
ومأدبة الخلان لا سبب لهـا   حِذاق صغير يوم ختم قُران
وعاشرها فى النظم تحفة زائر   قِرى ضيف مع نُزْل به بقِران

فالوليمة سنة وهى طعام يصنع عند العُرس بضم العين بعد الدخول بالزوجة .

والخرس بضم الخاء المعجمة وسكون الراء و بالسين المهملة و يقال أيضاً بالصاد المهملة : طعام يصنع عند الولادة .

.. ..

والعقيقة سنة وهى شاة تذبح على المولود يوم سابعه .

والوكيرة كسفينة : طعام يصنع عند كمال البناء مأخوذ من الوكر وهو المأوى .

والوضيمة بالضاد المعجمة كوكيرة وزنا : طعام يصنع عند موت إنسان .

والولائم كلها للسرور إلا الوضيمة .

والنقيعة كسفينة وزنا : طعام يصنع عند قدوم المسافر سواء صنعه القادم أو غيره مأخوذ من النقع وهو الغبار .

والعذيرة و يقال لها الاعذار بكسر الهمزة وسكون العين المهملة و بالذال المعجمة : طعام يصنع عند ختان الصبي ، وعذيرة فى النظم بلا تنوين على حد قولهم قطع الله يد ورجل من قالها .

والمأدبة بضم الدال المهملة وتفتح : طعام يصنع للأحبة بلا سبب :

والحذاق بكسر الحاء المهملة و بالذال المعجمة آخره قاف : طعام يصنع عند ختم الصبي القرآن .

وتحفة الزائر : طعام يصنع له عند مجيئه .

وقِرَى الضيف : طعام ضيافته .

والنزل بالضم و بضمتين ما يهيأ للضيف وقت نزوله من طعام خفيف أو شراب قبل حصول طعام ضيافته و يسمى عند الشناقطة (آسُّوكْ) بمد الهمزة وضم السين المهملة المشددة بعدها واو آخره كاف ساكنة اه .

أمثلة مما يجوز فيه الغناء

ثم ذكر من أمثلة ما يجوز فيه الغناء مع آلة اللهو أيامَ الأعياد و يوم ختم الولد القرآن والفرح بقدوم المسافر وأيام الأعراس فإن الضرب بالدفوف فيها سنّة وكذلك للتنشيط على الأعمال الشاقة وكذلك الفرح بوضع الولد .

وقوله (واستمع الحدا) يعنى أن سماع الحداء بضم الحاء المهملة والمد جائز، والحداء هو الصوت الذى تساق به الإبل فيجوز فعله وسماعه بل هو سنة لأنه فعل بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم فأقره قال الشاعر :

فغنها وهى لك الفداء إن غناء الإبل الُحداء

وأصله كما فى القاموس أن إعرابياً ضرب غلامه وعض أصابعه فمشى الغلام وهو يقول دَ ىْ دَىْ دَىْ أراد يايدى فسارت الإبل على صوته فقال له سيده إلزمه وخلع عليه أى أعطاه عطية ،ودى بفتح الدال المهملة وسكون الياء قالها ثلاث مرات .

وفى سيرة الشامى أن مُضَرَ جد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هو أول من حدا الإبل .

وقوله(وسرد منشد) يعنى أن سماع سرد منشد للشعر جائزأيضاً سواء كان من أشعار الجاهلية أوغيرها وكذلك يجوز سردها .

قال الإمام الأبى فى شرح مسلم على قوله صلى الله عليه وسلم اصاحبه (الشريد بن سويد الثقفى) هل معك من شعر أمية بن أبى الصلت شىء إلى قوله حتى أنشده مائة بيت، قال عياض فيه جواز استعمال شعر الجاهلية وأخبارها

. . . .

وفيه أن الشعر فى نفسه ليس بمذموم وإنما المنكر الاكثار منه أو مافيه هجاء أو قذف أو تشبيب بالحرام أو وصف الخمر وأنواع الباطل مما يهيج النفوس على ذلك وقد جاء فى شعر كعب وحسان رضى الله تعالى عنهما مما مدح به النبى صلى الله عليه وسلم وفيه وصف الخمر والتشبيب لكن بغير معين وسمعها صلى الله عليه وسلم وأقرها على عادة العرب فى ذلك فيغتفر منه ما قل ، قال عياض ولم ير أصحابنا رد الشهادة بمثل هذا يعنى أن الجائز من الغناء ونحوه لا يقدح فى العدالة بشرط الاقلال منه .

والتشبيب ذكر أوصاف النساء ، وبشرط ألا يتعلق به أمر إمرٌ بكسر الهمزة أى أمر عظيم ومثّلَ للأمر العظيم بالهجاء أى الشتم والقذف وهو رمى الشخص بالزنى ، ووصف الخمر وهو تحسين أوصافها ، وعده لوصف الخمر هنا لعله بناء منه على منعه فى كل الغناء ويرده ما سبق من أنه صلى الله عليه وسلم سمعه ولم ينكره .

وقوله (من غير آلة غناء العرب) غناء مبتدأ ومن غير آلة خبره مقدم عليه يعنى أن غناء العرب بضم العين المهملة الذى أجازه الصحابة رضى الله تعالى عنهم هو إنشاد بصوت رقيق فيه تمطيط أى مدّ من غير آلة وهو الذى يسمونه بالنصب بفتح النون ولم تكن عند الصحابة آلة الأوتار فإن أول من عرب الأوتار إسحاق بن إبراهيم الموصلى [1] .

وقوله (لافرق بين حكمه ملحونا وحكمه بالعربى موزونا) أى لافرق فى سماع الغناء بين أن يكون موزونا بالكلام العربى الذى لا لحن فيه سواء

---

(١) وسيأتى بعض الكلام على الأوتار فى الخاتمة فى حديث أم زرع .

. . . .

كان من واحد من البحور الستة عشر التى هى الطويل والمديد إلخ أو من غيرها فإن المولدين وهم المولودون بعد عصر الصحابة أحدثوا بحورا ، وبين أن يكون موزونا بغيرما ذكر من كلام ملحون أو بلغة أعجمية بربرية أو غيرها ، يجوز هذا حيث يجوز ذلك ، ويحرم هذا حيث يحرم ذلك ، ويختلف فيه حيث يختلف فى ذلك انتهى ملخصاً من رشد الغافل وشرحه لجدنا سيدى عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوى الشنقيطى رحمه الله تعالى ونفعنا به .

عود إلى ماقيل فى اللذة

وقال فيها غير من تقدم ذكرهم :

وكيف يضحك مَن فى الترب مضجعه
وعن قريب يرى إليـــه محمول

وكيف يلهو بعيش أو يلذ به مَن الترابُ على خديه مجعول

وقال آخر :

وقف الهوى بى حيث أنتِ فليس لى متأخَّر عنكِ ولا متقـــدَّم
أجـــد الملامة فى هواكِ لذيذة حباً لذكراك فليلمنى اللُّوَّم

وقال آخر :

كيف يلذ النوم من لا يعـــــلم يسلمُ فى عقباه أو لا يسلم

وقال آخر :

ما لذَّ ما لذَّ لى لهــو ولا لعب ما لذَّ لى لهو عيش الجزع أو لعبه

. . . . . . ومنْ يُردْ فيهِ اتساعَ الباعِ
فَليستمعْ لما نظمتُ فِيهِ واللهُ عالمٌ بما أخفيهِ
عساهُ أنْ يَمُنَّ بالخلاص من كلِّ ما يقدحُ الاخلاصِ

وقوله رحمه الله تعالى (فى الاسماع) جمع سمع وهو حاسة السمع التى أودعها الله تعالى فى الأذن . (والطباع) ككتاب والطبع والطبيعة السجية التى جبل عليها الإنسان يعنى أن الاسماع والطباع تتلذذ بسماع هذا العلم ومعرفته والمذاكرة فيه وهذا صحيح مشاهد فانا نجد فى نفوسنا عند المذاكرة فيه من النشاط والسرور ما لا نجده فى غيره ، اللهم ارزقنا حبك وحب نبيك وآله وأزواجه وأصحابه وصلِّ وسلم عليهم واحشرنا فى زمرتهم آمين يارب العالمين .

* * *

الاتساع والوسع ضد الضيق ، والباع قدر مدِّ اليدين وباعة الدار ساحتها يعنى أن الذى يريد أن يكون واسع الباع أى تكون له يد طويلة فى هذا العلم فليستمع لما نظمه الشيخ لكن بقلبه مع أذنه حتى يتقن معرفته ويعطر روحه من طِيب معرفة أمهات المؤمنين رضى الله تعالى عنهن .

وفى قول الناظم (والله عالم) الخ إشارة إلى أن نيته فى هذا النظم خالصة لله تعالى لارياء فيه ولا سمعة ، ثم سأل الله الكريم أن يَمُنَّ عليه با لخلاص من كل ما يقدح فى الاخلاص ، فقال عساه أن يمن إلخ .

وعسى للترجى فى الأمر المحبوب وللإشفاق فى المكروه واجتمعا فى قوله تعالى ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً ﴾ الآية وهى من الله تعالى إيجاب ، وتأتى للشك ولليقين وقد تشبه بكاد وهى هنا للترجى فى الأمر المحبوب .

* * *

. . . .

وفى المثل السائر (عسى الغوير أبؤساً) قال الاصمعى وأصله أنه كان غارٌ فيه ناس فانهار عليهم أو أتاهم فيه عدوٌّ فقتلوهم فيه فصار مثلا لكل شيء يخاف أن يأتى منه شر ثم صغر فقيل غوير قال أبو عبيد وأخبرنى الكلبى بغير هذا : زعم أن الغوير ماء لكلب بناحية السماوة معروف وهذا المثل إنما تكلمت به الزباء لما وجهت قصيرا اللخمى بالعير إلى العراق ليحمل لها من بَزِّه وكان قصير يطالبها بثأر جذيمة الأبرش فحمل الأجمال صناديق فيها الرجال والسلاح ثم عدل عن الجادة المألوفة وتنكب بالأجمال الطريق المنهج وأخذ على الغوير . فأحست الشر وقالت (عسى الغوير أبؤسا) جمع بأس أى عساه أن يأتى بالبأس والشر ، وقدجاء رجل بمولود منبوذ أى وجده مرميا إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال له (عسى الغويرأ بؤسا) يعنى أنه اتهمه والمراد لعلك زنيت بأمه وادّعيت أنك وجدته لقيطا فأثنى على الرجل عريفُه وجماعة معه خيرا فقال سيدنا عمر حينئذ هو حرٌّ وولاؤه لك انتهى ملخصا من لسان العرب وهذا الرجل الذى جاء بالمنبوذ هو سُنين بضم السين المهملة وفتح النون وياء ساكنة آخره نون ابن فرقد صحابى صغير من بنى سُليم بضم السين سماه الإمام مالك فى موطئه فى القضاء فى المنبوذ ثم بدأ الناظم فى المقصود فافاد وأجاد وقال رحمه الله نكح طه . . . الخ .

* * *

نـكح طه من نساءِ العَرَبِ عشراً ومن عقِب هارون النبي
واحدةً وخُذْ على ترتيبي تعرِيفهُنّ وعلى تهـذيبي
أولهنّ حُبِيتْ تزويجـه خيرُ النساءِ أمُّنا خديجَهْ
فسَوْدَةٌ عائشةٌ فحفصةُ فزينبٌ فهندُ ثم برَّةُ
أى زينبٌ فأمُّنا جُوَيْرِيهْ فرملةٌ صفيةُ النضِـيرِيَهْ
فأمُّنا أختُ بنى هلال ميمونةٌ صاحبـةُ الـكمالِ
قـد انتهى ترتيبهُنّ فاستمعْ عقِيبَـــه تهذيبهُنّ تنتفعْ

عدد زوجاته صلى الله عليه وسلم بالترتيب

يعنى أن المجمع عليه من أزواجه صلى الله عليه وسلم اللاتى استمتع بهن بالزواج إحدى عشرة امرأة عشر من العرب وواحدة من بنى إسرائيل ، ومن حسن أدب الناظم رحمه الله نسبتها إلى سيدنا هارون أخى سيدنا موسى على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام المذكور معه فى آيات كثيرة من القرآن الكريم بياناً لكمال فضلها وتنويها بعلو شأنها وهو فى ذلك مقتدٍ بنبينا صلى الله عليه وسلم فى الحديث الآتى فى مناقبها .

و (طه) من أسمائه صلى الله عليه وسلم قال تعالى ﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ .

وقوله (خذ) فعل أمر من الأخذ و (تعريفهن) مفعوله أى تلق علم معرفتهن على الترتيب الذى ستسمعه وعلى التهذيب الذى ستعرفه ثم ذكرهن بالترتيب فى الأبيات الأربعة المذكورة :

. . . .

زواجه بالسيدة خديجة رضى الله عنها

فكان أول من تزوج نبينا صلى الله عليه وسلم من النساء أمّنا السيدة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ، تزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة على الأصح وهى بنت أربعين سنة فأقامت معه صلى الله عليه وسلم أربعا وعشرين سنة وتوفيت وهى بنت أربع وستين سنة وستة أشهر فى شهر رمضان ودفنت بالحجون بمكة . ونظم ذلك صاحب قرة الأبصار بقوله :

وإذ إلى مكة عاد وافتتح ... ستا وعشرين من العمر نكح
خديجة من بعد أربعينا ... مضت لها من عمرها سنينا
خير نساء الناس أجمعينا ... وقد أقامت معه عشرينا
وأربعا ورزق البنينا ... منها سوى أحدهم يقينا

ولما أراد الله سبحانه توفيقها للسعادة الأبدية جعل لذلك سببا وهو أنها كانت ذات مال وجمال وجاه وكانت تبعث كل سنة عِيراً أى إبلا تحمل الطعام واللباس من الشام وتستأجر رجلا من قومها يمشى فى العِير فلما جاء أوانُ سعادتها طلبته صلى الله عليه وسلم أن يمشى فى عيرها ، وفى بعض الروايات أن عمه أبا طالب قال له صلى الله عليه وسلم إنّا فيما ترى من الشدة وضيق الحال فإن رأيت أن أكلم بنت خويلد بأن تجعلك صاحب عيرها فتنتفعَ بأجرتها فرضى صلى الله عليه وسلم فكلمها أبو طالب ففرحت بذلك لما اشتهر من صدقه وأمانته ولما تقدم لها من الاشارات إلى نبوته وقالت إن كان الأمين يرضى فأنا أضاعف له الأجر ، فأعطته العير وأرسلت معه مولاها (ميسرة) وأوصته أن يحرص على حفظ مايراه منه مما ليس فى غيره فلما رجع إليها ميسرة أخبرها

. . . .

بما شاهده فيه من علامات النبوة ككونه إذا اشتد الحرُّ تظله الغمامة .

قال فى قرة الأبصار .

يظله الغمامُ فى المسير حين اشتداد الحرِّ فى الهجير

مع كثير من البراهين والبركات وحسن السمت والهدْي ، وأخبرها بما قال له الراهب نسطورا « بفتح النون وسكون السين المهملة وطاء مهملة مضمومة بعدها واو آخره راء مفتوحة مقصورة » لمَّا رآه إذْ قال لميسرة ممن هذا الرجل فقال من قريش من أهل الحرم فقال الراهب هذا نبى وهو آخر الأنبياء اهـ .

وكان صلى الله عليه وسلم خرج قبل ذلك مع عمه أبى طالب إلى الشام فلما بلغوا بُصرى « بضم الباء الموحدة وسكون الصاد المهملة وفتح الراء مقصورا » قال النووى وغيره هى مدينة حُوران « بضم الحاء المهملة » رآه الراهب بحيرا « بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة وقصر الراء » وتَعَرَّف منه صفات النبوة وتحقَّقها فسأل عنه أبا طالب فقال هذا ابن أخى فناشده الراهب أن يردَّه إلى مكة خوفاً عليه من اليهود فردَّه .

وفى بعض الروايات أن أبا بكر رجع معه وأن بحيرا زوَّدهم بشىء من الكعك والزبيب (قلت) ذِكر أبى بكر هنا غريب وأغرب منه وأظهر غلطا قول من قال رجع معه بلال كما لا يخفى على من له علم بالسيرة(١) وأخبار خير البرية صلى الله عليه وسلم .

---

(١) قال العراقى :

وليعلم الطالب أن السيرا تجمع ما صح وماقد أنكرا

ولكن لم يأل الأئمة النقاد جهداً فى تحقيق الصحيح منها و تزييف ما لم يصح فتميز الزبد من المخيض .

.. ..

ومما ذكر فى هذه السفرة أن نفرا من اليهود رأوه وعرفوا منه[1] ماعرف بَحِيرا فأرادوا به سوءاً فمنعهم بحيرا وذكَّرهم الله تعالى وما يجدون فى كتابهم من ذكره وصفته وأنهم لن يخلصوا إليه فعرفوا صدقه ورجعوا عن ذلك .

وفى جامع الترمذى من رواية أبى موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه ما معناه أن نفرا من الروم سبعة أقبلوا فسألهم بحيرا فقالوا إن هذا الرجل خارج فى هذا الشهر فلم يبق طريق إلا بُعِث إليه منا ناس وأنا قد أخبِرْنا خبره بطريقك هذا فقال أفرأيتم أمراً أراد الله تعالى أن يقضيه أيقدر أحد من الناس أن يرده قالوا لا قال الراوى فبايَعُوا بحـيرا وأقاموا معه انتهى أكثره من بهجة المحافل .

فلما بلغ جميع ما ذكر أمنا خديجة جذبتها عناية ربنا الـكريم فخطبت سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم وكان كل شريف من قومها يتمناها ــ وكانت تلقب بالطاهرة ــ وذلك من توفيق الله تعالى لها قال الشاعر :

إذا اصطفاك لأمر هَيَّأتكَ له يد العناية حتى تبلغ الأربا

روى الواقدى بسنده إلى نفيسة بنت أمية أخت يعلَى بن أمية قالت كانت خديجة امرأة شريفة جَلْدة كثيرة المال ولما تأيّمت كان كل شريف من قومها يتمنى أن يتزوجها فلما سافر النبى صلى الله عليه وسلم بتجارتها ورجع بربح وافر « وأخبرها غلامها ميسرة بما رأى وبما سمعه من الراهب فى شأنه » رغبت فيه فأرسلتنى دسيسا إليه فقلت له ما يمنعك أن تتزوج فقال (ما فى يدى شىء) فقلت فإن كُفِيت ودُعِيت إلى المال والجمال والـكفاءة قال (ومن) قلت خديجة فأجاب ، قال فى الهمزية .

---

(١) قال ابن عساكر فى تاريخه : دخل إلى الشام عشرة آلاف عين رأت الرسول صلى الله عليه وسلم .

.. ..

ورأته خديجة والتقى والزهـ ـدُ فيه سجيَّـــة والحياء

وأتاها أن الغمامة والسر حَ أظلَّتـــه منهما أفياء

فدعته إلى الزواج وما أحْـ ـسَنَ ما يبلغ المنى الأذكياء

ولم يتزوج عليها صلى الله عليه وسلم حتى رحلت إلى بيتها القَصَب الذى بناه الله تعالى لها فى الجنة ، اللهم اجمعنا بها فى الفردوس يا أرحم الراحمين .

قال ناظم قرة الأبصار :

بنت خويلدٍ التى قد صدَّقت قبلَ النساء بالنبىِّ فارتقت

وما تزوج عليها أحـــدًا حياتَهــا من النساء أبدا

وهى أمُّ أولاده صلى الله عليه وسلم إلا سيدنا إبراهيم فأمه مارية بنت شمعون القبطية جاريته صلى الله تعالى عليه وسلم التى أهداها له أمير القبط المقوقس صاحب مصر والاسكندرية .

ثم تزوج بعد وفاة خديجة سَودة بنت زمعة وعائشة بنت أبى بكر الصديق واختلف فى أيتهما الأولى فى العقد وأما فى البناء فقد أجمعوا على أنه صلى الله عليه وسلم بنى بسودة أوّلاً وأجمعوا على أنه تزوجها بمكة قبل الهجرة .

ثم تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب سنـــة ثلاث من الهجرة على الراجح .

ثم تزوج زينب بنت خزيمة بعد دخوله على حفصة سنة ثلاث أيضاً .

ثم تزوج أم سلمة واسمها هند بنت أبى أمية بعد وفاة زينب بنت خزيمة سنة أربع على خلاف أيضاً .

ثم تزوج زينب بنت جحش وكان اسمها بره فسماها زينب .

ثم تزوج جويرية بنت الحارث سنة خمس أو ست .

.. ..

ثم تزوج رملة بنت أبى سفيان وهى أم حبيبة سنة ست وقيل سبع .
ثم تزوج صفية بنت حُيَىْ سنة سبع .
ثم تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية سنة سبع أيضاً فى عمرة القضاء .

وإلى هذا انتهى عددهن مرتبا على ترتيب تزوجه صلى الله عليه وسلم بهن .

وإلى هذا الترتيب رمز بعضهم ببيت شعر يشير بالحرف الأول من كل كلمة إلى الحرف الأول من اسم كل واحدة منهن والبيت إحدى عشرة كلمة .

خليلى سبت عقلى حلا زين هالة زهى جفنها رمزا صحيحا مهذبا

فالخاء لخديجه، والسين لسودة والعين لعائشة والحاء لحفصة والزاى لزينب بنت خزيمة والهاء لهند وهى أم سلمة والزاى الثانية لزينب بنت جحش والجيم لجويرية والراء لرملة وهى أم حبيبة والصاد لصفية والميم لميمونة رضى الله تعالى عنهن .

وقد مات عنده صلى الله عليه وسلم اثنتان منهن خديجة وزينب بنت خزيمة ومات صلى الله عليه وسلم عن التسع المذكورات .

وقوله (فاستمع) الخ أى بعد هذا الترتيب استمع تهذيبهن أى تحسينهن بذكر أنسابهن ومناقبهن وفضيلتهن الكبرى وهى اجتماعهن معه صلى الله عليه وسلم فى النسب (تنتفع) بذلك لأن معرفتك لهن تؤدى إلى حبك لهن وحبك لهن يجعلك محبوبا عند النبى صلى الله عليه وسلم لأن محب الحبيب محبوب كما هو مشاهد من حبه صلى الله عليه وسلم لاحباب سيدتنا خديجة فقد روى البخارى ومسلم وغيرهما أنه صلى الله عليه وسلم كان يذبح الشاة ثم يقطِّعها أعضاء ثم يفرقها فى صـــــدائق خديجة ـ الحديثَ .

وفى الصحيحين أيضاً قالت عائشة رضى الله عنها استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف استئذان خديجة فارتاع

مِن هؤلاءِ من قريش سِتٌ　　بها يُحاشِينَا الأَذى والمقتُ
خديجةٌ عائشةٌ وسودةُ　　وحفصةٌ وهندُ ثم رَمْلَةٌ

كذلك فقال اللهم اجعلها هالة فرحا منه صلى الله عليه وسلم بأخت سيدتنا خديجة وعكس هذا محب العدوّ قال الشاعر :

إذ صافا صديقك من تعادى　　فقد عاداك وانقطع الكلام

ومن كان محبوبا عنده صلى الله عليه وسلم فاز بسعادة الدارين .

القرشيات من أمهات المؤمنين رضى الله عنهن ست

ثم بين الناظم أن من هؤلاء الزوجات الشريفات ستاً من قريش وهن خديجة ، وسودة ، وعائشة ، وحفصة ، وهند ، وهى أم سلمة ، ورملة وهى أم حبيبة .

وقريش هو فِهر بن مالك على الأصح .

قال العراقى :

أما قريشٌ فالأصح فِهرُ　　جماعُها والأكثرون النَّضرُ

وقوله (بها) أى بوجاهة الست المذكورات وكرامتهن عند الله تعالى (يحاشينا) أى يباعدنا (الأذى) وهو كل شىء يؤذينا فى الدنيا والآخرة (والمقت) وهو البغض . نسأل الله الكريم رضاه ونعوذ به من بغضه .

نسبه صلى الله عليه وسلم

ولما كان من فائدة هذا الكتاب كما تقدم معرفة من تجتمع معه صلى الله عليه وسلم زوجاته الطاهرات فيه من الآباء وجب هنا ذكر النسب الشريف المجمع عليه فنقول وبالله التوفيق : هو سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَىّ بن كِلاب بن

. . . .

مُرّة بن كعب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهر بن مالك بن النضر بن كِنانة بن خُزَيمة ابن مُدركة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار بن مَعَدّ بن عَدنان .

وقد نظمه بعضهم على ترتيب الآباء فقال :

آباء سيد الورى على الرُّتَبْ　　هو ابن عبد الله عبدِ المطلب

وهاشم عبدِ منافِ بنِ قُصَىْ　　بن كِلاب مرةٍ كعب لُؤَىْ

وغالب بن فِهرٍ بن مالكِ　　والنضرِ قل كنانة كذلكِ

خزيمةٌ مدركة إلياسُ　　ومُضَر نزارهم يقاسُ

ثم معَدٌّ بعده عَدنانُ　　وبعد ذاك اختلف الأعيانُ

حافظهم ينجو من النيران　　كما أتى عن النبى العدنانى

وما بعد هذا من النسب أعرضت عن ذكره هنا لكثرة الاضطراب فيه .

قال الشيخ البدوى الشنقيطى فى عمود النسب :

مافوق عدنان من أجداد النبى　　ينسب من نسّبه للكذب

ويدل لذلك مارواه ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال : كذب النسابون قال الله تعالى : ﴿ وقروناً بين ذلك كثيراً ﴾ وورد أيضاً « لا تجاوزوا معد بن عدنان » .

وقد نظم العراقى أصح ما وجد من النسب فى ألفيته فى السيرة بعد عدنان وسيأتى ذكره .

فائدة

أول ماخلق الله نورُ نبيه محمد صلى الله عليه وسلم كما فى حديث جابر بن عبد الله الذى أخرجه الإمام عبد الرزاق فى مصنفه بسنده الصحيح ولفظه فى إحدى روايتيه .

. . . .

قال جابر : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول شىء خلقه الله قبل الأشياء فقال : « نور نبيك ياجابر خلقه الله ثم خلق منه كل خير وخلق بعده كل شىء وحين خلقه أقامه قدامه فى مقام القرب أثنتى عشرة ألف سنة ، ثم جعله أربعة أقسام فخلق العرش من قسم والكرسى من قسم وحملة العرش وخزنة الكرسى من قسم ، وأقام القسم الرابع فى مقام الحب اثنتى عشرة ألف سنة ثم جعله أربعة أقسام فخلق القلم من قسم واللوح من قسم والجنة من قسم وأقام القسم الرابع فى مقام الخوف اثنتى عشرة ألف سنة ، ثم جعله أربعة أجزاء فخلق الملائكة من جزء ، والشمس من جزء ، والقمر والكواكب من جزء ، وأقام القسم الرابع فى مقام الرجاء أثنتى عشرة ألف سنة ، ثم جعله أربعة أجزاء فخلق العقل من جزء والعلم والحلم من جزء ، والعصمة والتوفيق من جزء ، وأقام القسم الرابع فى مقام الحياء أثنتى عشرة ألف سنة ، ثم نظر الله تعالى إليه فترشح النور عرقاً فقطرت منه مائة ألف وأربعة وعشرون ألف قطرة فخلق الله من كل قطرة روح نبى أو رسول ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله تعالى من أنفاسهم نور أرواح الأولياء والسعداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة فالعرش والكرسى من نورى ، والكروبيون (أى سادة الملائكة) من نورى ، والروحانيون من الملائكة من نورى ، وملائكة السموات السبع من نورى ، والجنة وما فيها من النعيم المقيم من نورى ، والشمس والقمر والكواكب والعقل والعلم والتوفيق من نورى ، وأرواح الرسل والأنبياء والسعداء والشهداء والصالحين من نورى ، ثم خلق الله اثنى عشر حجابا فأقام النور وهو الجزء الرابع من كل حجاب ألف سنة وهو مقامات العبودية وهى حجاب الكرامة والسعادة والهيبة والرحمة والرأفة والعلم والحلم والوقار والسكينة والصبر والصدق

. . . .

واليقين فقيد الله ذلك النور فى كل حجاب ألف سنة فلماخرج النور من الحجب ركبه الله فى الأرض فكان يضيء منه ما بين المشرق والمغرب كالسراج فى الليل المظلم ، ثم خلق الله آدم من الأرض وركب فيه النور فى جبينه ثم انتقل منه إلى شيث وكان ينقل من كل طاهر إلى طيب ومن كل طيب إلى طاهر إلى أن وصل إلى صلب عبد الله أبى ومنه إلى آمنة ثم أخرجنى إلى الدنيا فجعلنى سيد المرسلين وخاتم النبيين ورحمة للعالمين وقائد الغرِّ المحجَّلين ـ هكذا كان بدء خلق نبيك يا جابر انتهى . وروى فى المواهب اللدنية بمخالفة والله أعلم .

وإنى أحمد الله تعالى كثيراً على إنعامه علىَّ بالعثور على هذا الحديث كله بعدما نقَّبت عنه نحو خمسة عشر عاما ولم أقف إلا على بعضه إذ كل مؤلف يذكر منه جملة ثم يحيل تمامه إلى مصنف الإمام عبد الرزاق الصنعانى ومصنَّفه مثل الكبريت الأحمر ويعسر على الحصول عليه فكان من فضل الله علىَّ أن وجدته فى مؤلف للشريف عبد الرحمن بن محمد الاسماعيلى نقيب الأشراف العلويين بمكناسة الزيتون المسمى النور اللائح بمولد الرسول الخاتم الفاتح ، نقله فيه من أصله تاما بروايتين جزاه الله خيراً فأثبتُّ هنا إحداهما التماسا للبركة والثواب بنشر الفائدة .

ثم رأيت الشيخ زاده ذكره فى شرحه للبردة عند قول البوصيرى :

وكل آى أتى الرسل الكرام بها فإنما اتصلت من نوره بهم

ثم شرع الناظم فى التعريف بكل واحدة منهن على الترتيب المذكور فقال :

فأمُّنا خديجةٌ من أسَدِ سِبط قُصَىٍّ ذى العُلَى والسؤددِ
بنتُ خُوَيلدٍ أبى الغُر الكرامْ آلِ الزُبيرِ وحكيم بن حِزَامْ
يجمعُها مَعَ ذؤابة لُؤَىْ جدُّهما القَرْمُ مُجَمِّعٌ قُصَىْ

نسب السيدة خديجة رضى الله عنها وزواجها به صلى الله عليه وسلم

إن أمنا خديجة هى بنت خُوَيلد بن أسد سبط قُصَى ، والسبط بكسر السين ولد الولد ، وأسد هو ابن عبد العزَّى بن قصى بن كلاب ففى قُصَى تجتمع مع سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم (ذؤابة لؤى) أعزهم وأشرفهم ، (والقرم) السيد ، (ومجمِّع) لقب لقصى كان يدعى به لأنه جمع قبائل قريش على مكة بعدما قاتل عليها صُوفة وخزاعة وبنى بكر .

قال حذافة بن غانم :

أبوكم قصى كان يدعى مجمِّعاً به جمع الله القبائل من فهر
هم ملئوا البطحاء مجدا وسؤددا وهم طردوا عنا غواة بنى بكر

وأم خديجة هى فاطمة بنت زائدة بن الأصم ، واسم الأصم جندب بن رواحة بن حَجَر بن عبد بن مَعيص بن عامر بن لؤى بن غالب .

ومناقب سيدتنا خديجة لا تسعها ورقاتنا هذه ويكفيها أنها أول من آمن بالله ورسوله على الإطلاق .

وكان المتولى تزويجها لرسول الله صلى الله عليه وسلم عمها عمرو بن أسد بن عبد العزى فقال فى خطبته « محمد بن عبد الله يخطب خديجة بنت خويلد هذا الفحل لا يُقْدَع أنفه هكذا قال ابن عبد البر ، وقال العامرى فى بهجة المحافل فلما خطبته صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لأعمامه فخرج معه عمه حمزة فكلم

. . . .

أباها فقبل ثم حضر أبو طالب ورؤساء قريش فخطب أبو طالب فقال : الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضِئْضِئ مَعَد وعنصر مُضَر وجعلنا حَضَنة بيته وسُوّاس حرمه وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحَرما آمنا وجعلنا الحكامَ على الناس ثم إن ابن أخى هذا محمدا لايوزن بأحد إلا رجَح به فإن كان فى المال قُلّ فالمال ظل زائل وأمر حائل ومحمد مَنْ قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وقد بذل لها من الصداق ما عاجلُه وآجلُه من مالى كذا وهو والله بعد ذلك له نبأ عظيم وخطب جليل انتهى .

ولفظ السُّهيلى فى الروض الأُنُف (أما بعد) فإن محمدا ممن لايوزن به فتى من قريش إلا رجح به شرفاً ونُبلا وفضلا وعقلا إلخ .

ويروى أنه أصدقها اثنتى عشرة أوقية من الذهب زاد ابن الأثير ونَشًّا بفتح النون وتشديد النون أى نصفاً وجملة ذلك خمسمائة درهم إسلامى « الأوقية أربعون درهما » وقال ابن هشام أصدقها عشرين بكرة وصحح جمال الدين محمد ابن الأشخر فى كتابه بهجة المحافل قول ابن عبد البر والسهيلى .

والجمهور على أن الذى زوجها هو عمها عمرو بن أسد ، والعم أبٌ .

وقال ابن حجر فى الإصابة وروى يعنى ابن سعد عن المدائنى بسند له عن ابن عباس رضى الله عنهما أن نساء مكة اجتمعن فى عيد لهن فى الجاهلية فتمثَّل لهن رجل فلما قرب نادى بأعلى صوته يانساء مكة إنه سيكون فى بلدكن نبى اسمه (أحمد) فمن استطاعت منكن أن تكون له زوجاً فلتفعل فحصبْنه (أى رمينه بالحصباء) إلا خديجة فإنها عضت على قوله ولم تتعرض له بسوء انتهى .

وروى الفاكهى فى تاريخ مكة عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان عند أبى طالب فاستأذنه أن يتوجه إلى خديجة فأذن له وبعث بعده جارية يقال

. . . .

لها نبعة فقال انظرى ما تقول له خديجة قالت نبعة فرأيت عجباً ماهو إلا أن سمعت به خديجة نخرجت إلى الباب فأخذت بيده فضمتها إلى صدرها ونحرها ثم قالت بأبي أنت وأمى والله ما أفعل هذا لشىء ولكن أرجو أن تكون أنت النبي الذى سيبعث فإن تكن هو فاعرف حقى ومنزلتى وادع الإله الذى يبعثك لى قالت نبعة فقال لها (لئن كنت أنا هو قد اصطنعت عندى مالا أضيعه أبداً وإن يكن غيرى فإن الإله الذى تصنعين هذا لأجله لايضيعك أبدا) انتهى .

وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشّر خديجة ببيت فى الجنة من قصب (أى لؤلؤ مجوف) لاصخَب فيه ولا نصَب وعند مسلم من حديث أبى زرعة قال سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتانى جبريل فقال يارسول الله هذه خديجة أتتك ومعها إناء فيه طعام وشراب فإذا أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى » الحديث .

وذكر ابن إسحاق أنها قالت لما خطبها : إنى رغبت فيك لحسن خلقك وصدق حديثك ، ومن طواعيتها له قبل البعثة أنها لما رأت محبته لزيد بن حارثة بعد أن صار فى ملكها وهبته له صلى الله عليه وسلم فكانت هى السبب فيما امتاز به زيد من سابقته فى الإسلام حتى قيل أنه أول من أسلم بعدها .

وأخرج ابن السنى بسند له عن خديجة رضى الله عنها أنها خرجت تلتمس رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة ومعها غذاؤه فلقيها جبريل عليه السلام فى صورة رجل فسألها عن النبى صلى الله عليه وسلم فهابته وخشيت أن يكون ممن يريد اغتياله فلما ذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم قال لها « هو جبريل

. .. .

وقد أمرنى أن أقرأ عليك السلام وبشّرها ببيت فى الجنة من قَصَب لاصخَب فيه ولا نصَب » اهـ .

وأخرج النسائى والحاكم من حديث أنس جاء جبريل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال إن الله تعالى يقرأ على خديجة السلام فقالت إن الله هو السلام وعلى جبريل السلام وعليك السلام ورحمة الله وبركاته اهـ .

ومما يدل على صدق نيتها وصفاء طويتها ماذكره ابن عبد البر عن ابن إسحاق قال حدثنى إسماعيل بن أبى الحكم أنه بلغه أن خديجة رضى الله عنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم أتستطيع أن تخبرنى بصاحبك إذا جاءك تعنى جبرائيل عليه السلام فلما جاءه قال ياخديجة هذا جبرائيل قد جاءنى فقالت قم يا ابن عم فاقعد على فخذى اليمنى ففعل فقالت هل تراه قال نعم قالت تحوّل إلى اليسرى ففعل فقالت هل تراه قال نعم قالت فاجلس فى حجرى ففعل فقالت هل تراه قال نعم قال فألقت خمارها وحسرت عن صدرها فقالت هل تراه فقال لاقالت أبشر فإنه والله لَملك وليس بشيطان .

وفى رواية إذ لو كان شيطاناً لمـا استحيا .

اللهم وفقنا لما تحب وترضى من القول والعمل فى عافية .

لطيفة

ذكر الدميرى فى حياة الحيوان فى ترجمة القطا أنه كان بين أبى الفضل المعروف بابن القطا الشاعر المشهور بالبغدادى وبين الحَيْص بيصَ سعد بن محمد التميمى الشاعر ويعرف بابن الصيفى وكنيته أبو الفوارس ولقبه شهاب الدين المتوفى سنة ٥٧٤ مناظرات منها أنهما حضرا على سماط الوزير فأخذ أبو الفضل

. . . .

قطاة مشوية وقدَّمها إلى الحيص بيص فقال الحيص بيص للوزير يا مولاى هذا الرجل يؤذينى قال كيف ، قال يشير إلى قول الشاعر :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا
ولو سلكت سبل المكارم ضلَّت
أرى الليل يجلوه النهار ولا أرى
جِلال المخازى عن تميم تجلَّت
ولو أن برغوثا على ظهر قملة
يكر على صفي تميم لولَّت

ولأبى الفضل نوادر منها أنه قعد يوماً يأكل مع زوجته طعاماً فقال لها اكشفى رأسك ففعلت فقرأ سورة الإخلاص فقالت ماالخبر فقال « إذا كشفت المرأة رأسها لم تحضر الملائكة » وإذا قرئت سورة الإخلاص هربت الشياطين وأنا أكره الزحمة على المائدة اهـ .

وقال الدميرى فى ترجمة البعوض : قال نصر الله أبو يحيي وكان من الثقات وأهل السنة والجماعة : رأيت على بن أبى طالب رضى الله عنه فى المنام فقلت له : ياأمير المؤمنين تفتحون مكة فتقولون : « من دخل دار أبى سفيان فهو آمن » ثم يتم على ولدك الحسين ماتم فقال لى أما سمعت أبيات ابن الصيفى فى هذا ؟ فقلت لافقال اسمعها منه ثم انتبهت فبادرت إلى حَيصَ بَيْصَ فذكرت له الرؤيا فشهق وبكى وحلف بالله لم تخرج من فيه ولا خطَّها إلى أحد وما نظمها إلا فى ليلته ثم أنشدنى قوله :

ملكنا فكان العفو منا سجيَّةً ... فلما ملكتم سال بالدم أبطَحُ
وحلَّلتموا قتل الأسارَى وطالما ... قدرنا على الأسرى فنعفو ونصفح

. . . .

وحسبكم هـذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذى فيه ينضح

ولُقب الحيص بيص لأنه رأى الناس يوما فى حركة مزعجة وأمر شديد فقال ماللناس « حيصَ بيصَ » فلقب بذلك ومعنى هاتين الكلمتين الشدة والاختلاط ، وكان إذا سئل عن عمره يقول أنا أعيش فى الدنيا مجازفة . وكان لايحفظ سنة مولده .

وقد تفقه على مذهب الإمام الشافعى وغلب عليه الأدب ونظم الشعر وكان مجيدا فيه .

ومن محاسن شعره .

ياطالب الرزق فى الآفاق مجتهدا أقصر عَناك فإن الرزق مقسومُ

الرزق يسعى إلى من ليس يطلبه وطالبُ الرزق يسعَى وهو محرومُ

وله أيضاً :

ياطالب الطب من داء أصيب به إن الطبيب الذى أبلاك بالداء

هو الطبيب الذى يرجى لعافية لامن يذيب لك الترياق فى الماء

وله أيضاً :

الْهَ عما استأثر الله به أيها القلب ودَعْ عنك الحَرقْ

فقضــاء الله لايدفعُــه حولُ محتال إذا الأمرُ سَبَقْ

وله أيضاً :

أنفِقْ ولاتخشَ إقلالاً فقدقُسِمَتْ على العباد من الرحمن أرزاقُ

لا ينفعُ البخلُ معْ دُنيا مُولِّيةٍ ولا يضر مع الإقبال إنفاقُ

وقول الناظم (ذى العلى والسؤدد) أى صاحب الرفعة والسيادة فهو أعنى قُصياً كان سيدا رفيع المنزلة فى قومه ويكفيه أنه جد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

وَأُمُّنَا سَوْدَةُ مِنْ لآلى   نَجْلِ لُؤَىٍّ عَامِرِ المِفْضَالِ
وَهِىَ بِنْتُ زَمْعَةَ بْنِ قَيْسِ   عَزِيزِ قَوْمِهِ ابْنِ عَبْدِ شَمْسِ
يَجْمَعُهَا مَعَ النَّبِىِّ الْعَاقِبِ   جُدُّهما لُؤَىٌّ ذُو المَنَاقِبِ

وقوله (أبى الغر الكرام) الخ يعنى أن خويلداً أبا خديجة أب لقوم غُرّ كرام ، والغر بضم الغين المعجمة جمع أغر وهو أبيض الوجه ، والكرام جمع كريم ضد لئيم ومنهم آل سيدنا الزبير بن العوام بن خويلد حوارىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال فيه « إن لكل نبى حوارىّ وحواربى الزبير بن العوام) رواه البخارى فى مناقب الزبير من صحيحه ومناقب الزبير مشهورة .

ومن الغر أيضاً آل سيدنا حكيم بن حِزام بن خويلد فالزبير وحكيم كل منهما ابن أخى خديجة .

ومن خصائص حكيم أنه ولد فى الكعبة وذلك أن أمه صفية بنت زهير ابن الحارث بن أسد بن عبد العزى دخلت الكعبة فى نسوة من قريش وهى حامل فضربها المخاض فأتيت بنطع فولدت عليه حكيماً قال الحافظ السيوطى :

ثم حكيم بن حزام قد ولد   فى كعبة وما لغيره عهد

(قلت) قال الشيخ ملاّ على القارى فى شرحه للشفاء وفى مستدرك الحاكم أن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ولد أيضاً فى داخل الكعبة ، وكان حكيم من أشراف قريش ووجوهها فى الجاهلية والإسلام ومناقبه كثيرة مشهورة .

ثم قال الناظم رحمه الله : (وأمنا سودة من لآلى)

(اللآلى) جمع لؤلؤة وهى الدرة الواحدة من الدر بضم الدال المهملة ، (وعامر) غير منون للوزن ، و (المفضال) بكسر الميم صيغة مبالغة فى كثرة الفضل صفة لعامر و (المناقب) جمع منقبة بفتح الميم وهى الفعل الجميل إشارة إلى أنه من أعزهم وأشرفهم .

. . . .

نسب السيدة سودة بنت زمعة
وزواجها به صلى الله عليه وسلم

يعنى أن أمنا سودة من ولد عامر بن لؤى وهى بنت زَمْعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نضر بن مالك بن حِسْل و يقال حسيل بن عامر بن لُؤى بن غالب ، ففى لؤى تجتمع مع نبينا العاقب صلى الله عليه وسلم والعاقب من أسمائه صلى الله عليه وسلم ذكره إمامنا مالك فى موطئه وغيرُه .

وسودة أمها الشَّموش بنت قيس بن عمرو بن زيد بن لبيد بن خراش بن عامر ابن غَنْم بن عدِى بن النجار الأنصارية الخزرجية .

تزوج نبينا صلى الله عليه وسلم أمنا سودة بمكة بعد وفاة خديجة وكبرت سنها عنده فهمّ بطلاقها فقالت لا تطلقنى وأنت فى حلّ من شأنى فإنما أود أن أحشر فى زمرة أزواجك وإنى قد وهبت يومى لعائشة وإنى لا أريد ما تريد النساء فأمسكها صلى الله عليه وسلم حتى رحل عنها إلى الرفيق الأعلى مع سائر أزواجه .

قال ناظم قرة الأبصار عاطفا على عائشة .

وسودة سمت فى السن فوهبت ليلتها لها لكى
تحشر فى أزواجه بنت لؤى

فائدة

سألتنى فتاة العلويين السيدة أعويشين المتقدم ذكرها عن سن سودة حين همّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بطلاقها فلم أر نصا صريحا فى ذلك فرجعت إلى معانى الألفاظ العربية والقرائن فوجدت بعضهم قال أسنت و بعضهم قال

. . . . ، . . . .

كبرت سنها وبعضهم قال طعنت فى السن وهذه ألفاظ مترادفة على معنى واحد ثم نظرت فوجدت سيدتنا خديجة بنت خويلد بلغت معه صلى الله عليه وسلم خمسا وستين سنة ولم يهم بطلاقها ولم يصفها أحد بكبر السن لكنها فى الحقيقة لها خصوصيات تمنعها من أن يقاس عليها غيرها ثم وجدته صلى الله عليه وسلم لما خطب أم سلمة قالت فى اعتذارها إنى كبيرة فى السن وكان عمرها إذ ذاك نحو الأربعين فلم يقبل منها صلى الله عليه وسلم ذلك العذر وقال لها أنا أكبر منك ثم رأيت عائشة رضى الله عنها قالت فى حديث تهجده صلى الله عليه وسلم جالسا فلما أسن الخ وذلك بعد مجاوزته ستين سنة وقال المفسرون عند قوله تعالى (ولما بلغ أشدَّه) الآية الأشد من ثمان عشرة سنة إلى اثنتين وستين فظهر لى أن الكبر فى الإنسان هو ما بعد اثنتين وستين سنة ويشهد لذلك قول الإمام صالح بن أبى شريف الأندلسى :

ابن عشر من السنين غلام رفعت عن نظيره الأقلام

وابن عشرين للصبا والتصابى ليس يثنيه عن هواه مَلاَم

والثلاثون قوة وشباب وهُيام ولوعة وغرام

فإذا زاد بعد ذلك عشرا فكمال وشدة وتمام

وابن خمسين مرَّ عنه صباه فيراه كأنه أحلام

وابن ستين صيرته الليالى هدفاً المنون وهى سهام

وابن سبعين لا تسلنى عنه فابن سبعين ما عليه كلام

فإذا زاد بعد ذلك عشرا بلغ الغاية التى لا ترام

وابن تسعين عاش ماقد كفى واعترته وساوس وسَقام

فإذا زاد بعد ذلك عشرا فهو حى كميت والسلام

.. ..

وقال ابن عِلان فى دليل الفالحين شرح رياض الصالحين فى الجزء الثالث صحيفة ١٣ قال الدماميني فى تحفة الغريب على مغنى اللبيب وقد كنت وقفت على فصل لبعض اللغويين ذكر فيه صفات الإنسان التى يختص باطلاقها عليه بحسب الأزمنة المختلفة فقلت ناظما لها :

أصخ لصفات الآدمى وضبطها　　لتحفظ دراً تقتنيـــه بديعا
جَنين إذا ما كان فى بطن أمه　　ومن بعد يدعى بالصبى رضيعا
وإن فطموه فالغلام لسبعة　　كذا يافع للعشر قله مطيعا
إلى خمس عشر بالحزَوَّر سَمِّه　　لتحسن فيما تنتحيه صنيعا
فمدّ إلى خمس وعشرين حجة　　بذاك دعاه الفاضلون جميعا
ومن بعد يدعى بالعُطيطل لانتها　　ثلاثين فاحفظ لا تعدُّ مضيعا
صمل لحد الأربعين وبعده　　بكهل إلى الخمسين فادع سميعا
وشيخا إلى حد الثمانين فادعه　　بها ثم همًّا للمات سريعا

وقال القرطبي فى تفسيره أواخر سورة الأنعـــام عند قوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم ﴾ وقد قيل إن انتهاء الكهولة فيها مجتمع الأشد . قال سحيم بن وثيل الرياحى التميمى (١) .

أخو خمسين مجتمع أشدِّى　　ونجّذنى مـــداورةُ الشئون

يروى نجّذنى بالذال المعجمة و بالدال المهملة يقال رجل منجد جرب الأمور وعرفها وأحكمها ، ومداورة الشئون معالجة الأمور .

---

(١) مطلع القصيدة

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا　　متى أضع العمامة تعرفونى

. . . .

فائدة فى فضل طول العمر

ورد فى فضل طول العمر للمؤمن أخبار منها ما روى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من معمّر يعمر فى الإسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه ثلاثة أنواع من البلاء الجنون والجذام والبرص فإذا بلغ الخمسين سهل الله له الحسنات فإذا بلغ الستين رزقه الانابة بما يحب فإذا بلغ السبعين أحبه الله وأحبه أهل السماء فإذا بلغ الثمانين تقبل الله حسناته وتجاوز عن سيئاته فإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمى أسير الله فى الأرض وشفع فى أهل بيته فإذا بلغ مائة سنة سمى حبيب الله وحق على الله أن لا يعذب حبيبه انتهى .

وعن أبى بكر رضى الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله أى الناس خير ؟ قال : « من طال عمره وحسن عمله » قال فأى الناس شر ؟ قال : « من طال عمره وساء عمله » رواه الترمذى وقال حديث صحيح .

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من بلغ الثمانين من هذه الأمـة لم يعرض ولم يحاسب وقيل أدخله الله الجنة » اهـ .

وقال القرطبى فى تذكرته وفى الخبر أن الله تعالى ينظر فى وجه الشيخ كل يوم خمس مرات فيقول ابن آدم كبرت سنك ووهن عظمك وقرب أجلك فاستحِ منى إنى أستحى أن أعذب ذا شيبة اهـ .

(ولنرجع لذكر أمنا سودة) رضى الله عنها وقد مدحتها عائشة رضى الله عنها بقولها ما من الناس أحد أحب إلى أن أكون فى مسلاخه من سودة بنت زمعة إلا أن بها حِدّة تسرع منها اللعنة أى تقول لمن غضبت عليه لعنه الله وفى رواية

.. ..

تسرع منها الفيئة أى ترجع عن الغضب بسرعة ا هـ والمسلاخ بكسر الميم وسكون السين المهملة وتخفيف اللام آخره خاء معجمة معناه الهدى والطريقة .

(قال جامعه) وفقه الله تعالى أخرج الحافظ السيوطى فى جامعه الصغير عازيا للطبرانى (الحِدّة تعترى خيار أمتى) . وأخرج أيضا عازيا لابن عدى (الحدة تعترى حملة القرآن لعزة القرآن فى أجوافهم) وأخرج أيضا عازيا للديلمى فى الفردوس (الحدة لاتكون إلا فى صالحى أمتى وأبرارها ثم تفيءُ) أى ترجع.

(لطيفة) قال الحافظ ابن حجر فى الإصابة قالت سودة رضى الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم صليت خلفك الليلة فركعت بى حتى أمسكت أنفى مخافة أن يقطر الدم تعنى من طول ركوعه فضحك صلى الله عليه وسلم وكانت تضحكه بالشيء أحيانا اهـ .

وتوفيت سودة رضى الله عنها بالمدينة فى آخر خلافة عمر رضى الله عنه وقيل فى شوال سنة أربع وخمسين فى خلافة معاوية ورجحه الواقدى، وقال الحافظ فى تقريبه سنة خمس وخمسين على الصحيح .

(يقول محمد المصطفى) الظاهر عندى أن الراجح الأول بقرينة أنها أسنت فى حياته صلى الله عليه وسلم فلو كانت عاشت بعده أربعا وأربعين سنة لكانت من المعمرين ولم أر أحدا ذكر أنها عمرت والله أعلم .

وإلى القولين أشار ناظم قرة الأبصار بقوله :

وعام ندْ أو فى خلافة عمر   توفيت بطيبة فاقْفُ الأثر

تنبيه

غلط شارح قرة الأبصار فى شرحه هذا البيت غلطا قلد فيه الناسخين وتكلف له تصويبا من رأيه ولم يهتد إلى الصواب وذلك أنه وجد فى بعض

.. ..

النسخ (وعام ند فى خلافة عمر) بإسقاط لفظه أو المنوعة للخلاف فظن أن الناظم اقتصر على أحد القولين فى تاريخ وفاتها فقرأ ند بتشديد الدال وتنوينها وقال إن هذا لا يصح لأن ند رمز لأربعة وخمسين فالنون خمسون والدال أربعة وهذا محال أن يكون فى خلافة عمر لأنه استشهد آخر سنة ثلاث وعشرين لكن الواقع أن الناظم ذكر القولين معا وأشار لأحدهما بقوله عام ند بسكون الدال لوزن الشعر وأشار للثانى بقوله أو فى خلافة عمر وهذا لم أر أحدا نبه عليه لكنه واضح جلى عند من له علم بهذا الفن ولله الحمد .

(قلت) وهذه عقوبة عجلها الله تعالى لطلبة العلم بسبب تساهلهم فى أخذ العلم من أفواه الرجال واعتمادهم على ما فى بطون الكتب وقد انتشرت هذه المحنة حتى إنها وقعت فى الصحيح كحديث مسلم فى الشفاعة وغيره من أمهات الكتب ومن هذا القبيل ما تجده من خطأ القائمين على طبع الكتاب المسمى بلوغ المرام من أدلة الأحكام تأليف الحافظ ابن حجر العسقلانى من نسبة حديث ﴿ ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته رجل أعطى بى ثم غدر ورجل باع حراً فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه العمل ولم يوفه ﴾ إلى مسلم وهو ليس فيه وإنما هو فى البخارى وغيره ، ولا يخفى على ذى علم أن هذا الخطأ ليس من الحافظ ابن حجر لما هو معلوم من اتقان حفظه وتثبته فى النقل والله أعلم ولله در أبى حيان حيث قال :

يظن الغمر أن الكتب تهدى أخا ثقة لادراك العلوم
وما يدرى الجهول بأن فيها غوامض حيرت عقل الفهيم
فكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

وأمُّنـــا عائشةٌ من تَيْم أهـل المـكارم أباة الضيم
بنت أبى بكر العتيق المرتضَى خليفةً بعد نبيّنـا الرِّضى
نسبهُـــا ونسبُ النبيِّ تفرعا من مُرَّةَ الأَبى

وقال غيره

إذا رمت العلوم بدون شيخ ضللت عن الصراط المستقيم
وتلتبس الأمور عليـك حتى تكون أضل من توم الحكيم

* * *

(أهل المـكارم وأباة الضيم) صفتان لتيم ، والضيم : الذل والهوان و (خليفة) بالنصب مفعول المرتضى .

نسب السيدة عائشة وزواجه بها

صلى الله عليه وسلم

يعنى : أن أمنا عائشة من بنى تيم الموصوفين بأنهم أهل المـكارم ، وأنهم لا يرضون من أحد إذلالا لقدرتهم على دفع ذلك عن أنفسهم وتجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم فى مرة بن كعب وذلك أنها بنت أبى بكر الصديق واسمه عبد الله بن أبى قحافه عثمان بن عامر بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب ، وأمها أم رومان واسمها زينب وقيل دعد بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس ابن عتاب بن أذينه بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة .

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم السيدة عائشة رضى الله عنها وهى بنت ست سنين بمكة قبل الهجرة بسنتين على الأصح بعد وفاة السيدة خديجة رضى الله عنها اتفاقا ، وبعد تزوجه سودة رضى الله عنها على الراجح ، و بنى

. . . .

بها بالمدينة وهى بنت تسع سنين ، وتوفى عنها وهى بنت ثمان عشرة سنة ولم يتزوج بكرا غيرها ، وحوت فى هذه المدة اليسيرة علوما غزيرة .

وإلى هذا أشار ناظم قرة الأبصار رحمه الله بقوله :

ثم تزوج ابنــــة الصديق وعمرها ست على التحقيق

بالبلد الحرام قبــل الهجرة بسنتين عند أهــل الخبرة

ثم بنى بها بعيد ما ارتحـل بطيبة وعمرها تسعا وصـل

ومات عنها وهى بنت حي[١] صلى عليه رب كل شيء

ولم يكن تزوّج المختار بكرا سواها فلها الفخار

وكم حوت فى مــدة يسيره من العلوم الجـــة الغزيره

و بالبقيع دفنت فى حن[٢] .

أى عام ثمانية وخمسين من الهجرة ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان على ما عليه الأكثر وقد عاشت بعده صلى الله عليه وسلم قريبا من خمسين سنة كما فى الفتح .

وأما مناقبها فلا سبيل إلى إحصائها لكن نتبرك بذكر قليل منها .

قال ابن عبد البر روى أهل البصرة عن أبى عثمان النهدى عن عمرو ابن العاص رضى الله عنه أنه سمعه يقول قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) أى بنت ثمانى عشرة سنة فالحاء ثمانية والياء عشرة .

(٢) الحاء ثمانية والنون خمسون .

.. ..

أى الناس أحب إليك قال صلى الله عليه وسلم (عائشة) قلت فمن الرجال قال أبوها ، ومن حديث أنس وأبى موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » .

وفيها قال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه .

حُصانٌ رَزانٌ ماتُزَنُّ بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
عقيلة حَيٍّ من لؤى بن غالب ... كرام المساعى مجدهم غير زائل
مهذبة قد طيَّب الله خِيمها ... وطهَّرها من كل سوء و باطل
فإن كنت قد قلت الذى زعموا لكم ... فلا رفعت سوطى إلىَّ أناملِي
فكيف وودى ماحييت ونصرتى ... لآل رسول الله زين المحافل
وأن الذى قد قيل ليس بلائط ... بك الدهر بل قِيل امرئ متحامل
حليلة خير الخلق دينا ومنصبا ... نبي الهدى والمكرمات الفواضل
رأيتك وليغفر لك الله حُرةً ... من المحصَنات غير ذات الغوائلِ

قوله (حصان) بفتح الحاء المهملة قال السهيلى هذا الوزن يكثر فى أوصاف النساء وفى الأعلام منها كأنهم قصدوا بتوالى الفتحات مشاكلة خفة اللفظ لخفة المعنى ، وهو من التحصين والتحصين يراد به الامتناع على الرجال ومن نظرهم إليها .

وقوله (رزان) من الرزانة وهى قلة الحركة ، (وتزن) بضم التاء وفتح الزاى وتشديد النون أى ترمَى .

. . . .

وقوله (غرثي) بفتح الغين المعجمة وسكون الراء ثم مثلثة أى خميصة البطن أى لاتغتاب أحدا وهى استعارة فيهاتلميح بقوله تعالى فى المغتاب ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾ الآية ، (والغوافل) جمع غافلة وهى العفيفة الغافلة عن الشر والمراد تبرئتها من اغتياب الناس بأكل لحومهم من الغيبة ومناسبة تسمية الغيبة بأكل اللحم أن اللحم ستر على العظم فكأن المغتاب يكشف ماعلى من اغتابه من ستر ، (والخيم) بكسر الخاء المعجمة وسكون التحتية الأصل الثابت وأصله من الخيمة يقال خام يخيم إذا أقام بالمكان اه .

ونقل ابن حجر عن ابن سعد قال أخبرنا هشام هو ابن عبد الملك الطيالسى حدثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن عائشة رضى الله عنها قالت أعطيت خلالا ما أعطيتهن امرأة ملكنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا بنت سبع سنين وأتاه الملك بصورتى فى كفه لينظر إليها ، وبنى بى لتسع سنين ، ورأيت جبرائيل ، وكنت أحب نسائه إليه ، ومرضته فقبض ولم يشهده غيرى والملائكة

وأما كرمها وزهدها ، فحسبك منه ما أخرج ابن سعد من طريق أم بردة قالت أتيت عائشة بمائة ألف ففرقتها وهى يومئذ صائمة فقلت أما استطعت فيما انفقت أن تشترى بدرهم لحما تفطرين عليه فقالت لو كنت أذكرتينى لفعلت .

وأما علمها فحسبك ما أخرجه الترمذى من حديث أبى موسى قال ما أشتكل علينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علما وفى رواية ما أشكل .

وروى أيضا عن موسى بن طلحة قال مارأيت أحداً أفصح من عائشة .

.. ..

وقال أبو الضحى عن مسروق رأيت مشيخة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونها عن الفرائض .

وقال عطاء بن أبي رباح كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأيا فى العامة .

وقال هشام بن عروة عن أبيه مارأيت أحدا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة (قلت) ويؤيد هذا ما اشتهر أنها روت من شعر لبيد بن ربيعة العامرى رضى الله عنه اثنى عشر ألف بيت .

قال الشيخ أحمد البدوى الشنقيطى فى نظمه عمود النسب .

منهم لبيـــد بن ربيعة الأبى فاز بصحبة وفضل أدب
روت له من الألوف اثنى عشر عائشة وكل شعره دور

ومما ينسب لها فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لُوامى زليخا لو رأين جبينـه لآثرْن بالقطع القلوب على الأيدى
ولو علموا فى مصر أوصاف خدّه لما بذلوا فى سوم يوسف من نقد

وقال الزهرى لو جمع علم جميع أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء لـكان علم عائشة أفضل .

وأخرج ابن الأثير فى النهاية والديلمى فى الفردوس أنه صلى الله عليه وسلم قال ﴿ خذوا شطر دينـكم عن الحميراء ﴾ يعنى عائشة ولفظ الفردوس ﴿ خذوا ثلث دينـكم من بيت الحميراء ﴾ والحميراء تصغير الحمراء يعنى البيضاء لأن العرب يقولون فى وصف ذات الشخص بالبياض أحمر وفى وصف أخلاقه أبيض .

قال سحيم عبد بنى الحسحاس :

وأمُنا حفصةُ من بنى عدىٍّ معادن الخيرات أشراف الندىِّ
بنتُ أمير المؤمنين عمرا باسط كف العدل فى كل الورى
يجمعها مع النبىِّ كعبُ جدهما الحبر النقى النـدْب

أشعار عبد بنى الحسحاس قُمْنَ له عند الفخار مقام الأصل والورِق[1]
إن كنت عبدا فنفسى حرة كرما أو أسود اللون إنى أبيض الخلق[2]

يعنى أن لون عائشة رضى الله عنها بين البياض والسمرة وهو أحسن ألوان النساء عند العرب وهو الذى يقول له الشناقطة ممجون اللون .

اللهم أرزقنا علما نافعا وقلبا خاشعا ورزقا حلالا واسعا وجوارح طائعة لك ياأرحم الراحمين،وسيأتى فى الخاتمة إن شاء الله تعالى قوله صلى الله عليه وسلم ﴿ ياعائشة كنت لك كأبى زرع لأم زرع غير أنى لا أطلقك ﴾ .

* * *

ثم قال رحمه الله تعالى (وأمنا حفصة الخ) .

(معادن) جمع معدن كمجلس وهو منبت الجواهر من ذهب وغيره (الندى) كغنى مجلس القوم ماداموا مجتمعين فيه (باسط كف العدل) صفة لسيدنا عمر رضى الله عنه لأنه بسط العدل ونشره فى جميع من كان تحت إمارته (الحبر) صفة كعب بن لؤى أى العالم بالأمور فى قومه (النقى) بالنون صفة ثانية له أى المختار من بين قومه لمعالى الأمور من النقاء بمعنى الاختيار (الندب) صفة ثالثة أى الخفيف فى الحاجة .

---

(١) الورق بكسر الراء الفضة .

(٢) الخلق بضمتين الطمع .

. . . .

نسب السيدة حفصة وتزوجه صلى الله عليه وسلم بها

يعنى أن أمنا حفصة رضى الله عنها من بنى عدى الموصوفين بأنهم معادن الخيرات وأنهم إذا اجتمعوا مع الناس فى مجلس كانوا أشرفهم لشرفهم التليد وهى بنت أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزّى بن رياح « بكسر الراء وفتح المثناة التحتية ممدودة آخره حاء مهملة» بن عبد الله بن قرط «بضم القاف وسكون الراء » بن رزاح «براء فزاى مفتوحتين آخره حاء مهملة» ابن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب .

وهى وشقيقها سيدنا عبد الله بن عمر أمهما زينب بنت مظعون بن حبيب ابن وهب بن حذافة بن جمح .

وتجتمع سيدتنا حفصة مع النبى صلى الله عليه وسلم فى كعب بن لؤى .

فائدة

قال ابن عبد البر طلق رسـول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر تطليقة ثم ارتجعها وذلك أن جبريل عليه السلام قال له راجع حفصة فإنها صوامة قوامة وأنها زوجتك[1] فى الجنة .

وروى موسى بن على بن رباح عن أبيه عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر فبلغ ذلك عمر فحثى التراب على رأسه وقال ما يعبأ الله بعمر وابنته بعد هذا فنزل جبريل من الغد

---

(١) هكذا الرواية فى الاستيعاب والاصابة باثبات التاء فى زوجتك وهى لغة صحيحة .

. . . .

على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إن الله يأمرك أن تراجع حفصة بنت عمر رحمة لعمر .

(استطراد) قال الإمام أبو بكر بن العربى المالكى فى كتابه أحكام القرآن عند قوله تعالى ﴿ للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر ﴾ .

﴿ المسألة الخامسة عشرة ﴾ ثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آلى من نسائه شهراً وصار فى مشرُبة له فلما أكمل تسعا وعشرين ليلة نزل على أزواجه صبيحة تسع وعشرين فقالت له عائشة إنك آليت شهرا فقال صلى الله عليه وسلم إن الشهر تسع وعشرون .

ثم قال ابن العربى أخبرنى محمد بن قاسم العثمانى غير مرة قال وصلت الفسطاط[١] غير مرة فجئت مجلس الشيخ أبى الفضل الجوهرى وحضرت كلامه على الناس فكان مما قال أول مجلس جلست إليه إن النبى صلى الله عليه وسلم طلق وظاهر وآلى فلما خرج تبعته حتى بلغت معه إلى منزله فى جماعة فجلس معنا فى الدهليز وعرفهم أمرى فإنه رأى على إشارة الغربة ولم يعرف الشخص قبل ذلك فى الواردين عليه فلما انفض عنه أكثرهم قال لى أراك غريبا هل لك من كلام قلت نعم قال لجلسائه أفرجوا له عن كلامه فقاموا وبقيت وحدى فقلت حضرت المجلس اليوم متبركا بكم وسمعتك تقول آلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقت، وطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقت، وقلت وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا لم يكن ولا يصح أن يكون لأن الظهار

---

(١) الفسطاط بالضم علم على مصر القديمة التى بناها عمرو بن العاص رضى الله عنه .

. . . .

منكر من القول وزور وذلك لا يجوز أن يقع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فضمنى إلى نفسه وقبل رأسى وقال جزاك الله عنى من معلم خيراً ثم انقلبت عنه وبكرت إلى مجلسه فى اليوم الثانى فألفيته قد سبقنى إلى الجامع وجلس على المنبر فلما دخلت من باب الجامع ورآنى نادى بأعلى صوته مرحباً بمعلمى أفسحوا لمعلمى فتطاولت الأعناق إلى وحدقت الأبصار نحوى وتعرفنى يا أبا بكر (يشير إلى عظيم حيائه فإنه كان إذا سلم عليه أحد أو فاجأه بكلام خجل لعظيم حيائه واحمرَّ حتى كأن وجهه طلىَ بجلنار[1]) .

قال وتبادر الناس إلى يرفعونى على الأيدى ويتدافعونى حتى بلغت المنبر وأنا لعظم الحياء لا أعرف فى أى بقعه أنا من الأرض والجامع غاص بأهله وأسال الحياء بدنى عرقا وأقبل الشيخ على الخلق فقال لهم أنا معلمكم وهذا معلمى لما كان بالأمس قلت لكم آلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلق وظاهر فما كان أحد منكم فقه عنى ولا رد على فاتبعنى إلى منزلى وقال لى كذا وكذا وأعاد ما جرى بينى وبينه وأنا تائب عن قولى بالأمس وراجع عنه إلى الحق فمن سمعه ممن حضر فلا يعول عليه ومن غاب فليبلغه إياه من حضر فجزاه الله خيراً وجعل يحتفل لى فى الدعاء والخلق يؤمنون فانظروا رحمكم الله إلى هذا الدين المتين والاعتراف بالعلم لأهله على رؤس الملأ من رجل ظهرت رياسته واشتهرت نفاسته لغريب مجهول العين لا يعرف من هو ولا من اين فاقتدوا به ترشدوا اهـ .

---

(١) الجلنار بضم الجيم وفتح اللام المشددة زهر الرمان وقيل صوابه جرنار بالراء المشددة بدل اللام اهـ قاموس .

. . . .

(رجوع إلى الموضوع) وقد أوصى عمر إلى ابنته حفصة[١] رضى الله عنهما ولفظه هذا ما أوصى به عبد الله عمر أمير المؤمنين أنه إن حدث به حدث أن ثمغا[٢] وحرمة ابن الأكوع والعبد الذى فيه والمائة السهم التى بخيبر ورقيقه الذى فيه والمائة التى أطعمه محمد صلى الله عليه وسلم بالوادى تليه حفصة ما عاشت ثم يليه ذو القربى والرأى من أهلها ثم أوصت حفصة إلى أخيها عبد الله بما أوصى به إليها عمر وأوصت له أيضا بصدقة تصدقت بها وبمال وقفته فى الغابة .

وكانت حفصة رضى الله عنها قبل النبى صلى الله عليه وسلم تحت خُنيس ابن حُذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم وكان من المهاجرين الأولين وشهد بدراً بعد هجرته إلى الحبشة ثم شهد أحداً فأصابته جراحة مات بها فلما انقضت عدتها ذكرها عمر لأبى بكر فسكت أبو بكر فغضب عمر ثم عرضها على عثمان حين توفيت زوجته بنت سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم فقال عثمان رضى الله عنه ما أريد ان اتزوج اليوم فانطلق عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكى إليه قول عثمان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ويتزوج عثمان من هى خير من حفصة) فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر لعمر لا تجد على فى نفسك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها وما كنت لأفشى سره ولو تركها لتزوجتها رضى الله عنهم أجمعين .

---

(١) أى جعلها وصية .

(٢) ثمغا بالفتح مال بالمدينة أوقفه سيدنا عمر وحرمة ابن الأكوع مال لعمر أيضاً .

وأمُّنا هندٌ من القُرُومِ دعائمِ العزِّ بنى مَخزومِ
بنتُ أبى أميةَ السَّميذَعِ وهو الذى بزاد ركبِه دُعِى
لأنه يكفى الركابَ الزادا فكم أفاد من علىً وسادا
يجمعهــا مع النبى مُرَّة جدهما بدرُ التمام الغرَّة

واختلف فى تاريخ وفاتها فقيل سنة سبع وعشرين فى خلافة عثمان ، وبين الحافظ ابن حجر أن هذا وهم وبيّن علته فى الاصابة بقوله وكأن قائله استند إلى ماروا ابن وهب عن مالك أنه قال ماتت حفصة عام فتح افريقية ومراده فتحها الثانى الذى كان على يدى معاوية بن خديج فى سنة خمس وأربعين وأما الأول الذى كان فى عهد عثمان سنة سبع وعشرين فلا والله اعلم ، وقيل كانت وفاة حفصة فى شعبان سنة خمس وأربعين بالمدينة وقيل سنة إحدى وأربعين حين بايع سيدنا الحسن بن على لسيدنا معاوية وهذا هو الصحيح إن شاء الله تعالى .

قال ناظم قرة الأبصار :

وحفصةٌ تزوجت خير البشر بعد خُنيس ثم لمَّا أن صدر
طــلاقُها منه بردها أمر وموتها عام الجماعة ذكر[1]

* * *

نسب السيدة هند (أم سلمة) وزواجه بها

صلى الله عليه وسلم

(القروم) جمع قرم بفتح القاف : السادة (الدعائم) جمع دعامة بوزن كتابة : السادة أيضا ودعامة البيت عماده والخشب المنصوب ليبنى عليه عريش .

(ودعائم العز) صفة لقروم .

(وبنى مخزوم) بدل من القروم (السميذع) بفتح السين المهملة والميم بعدهما مثناة تحتية ساكنة ثم ذال معجمة ثم عين مهملة : السيد الشريف السخى .

---

(١) عام الجماعة أى عام اجتماع الناس على البيعة لسيدنا معاوية رضى الله عنه .

. . . .

الموطأ الأكناف ، والشجاع [1] .

و (بدر التمام) صفة لمرة . وبدر التمام : القمر ليلة النصف من الشهر .

و(الغرة) بياض الوجه كناية عن حسن مرّة ووجاهته فى قومه .

نسب السيدة أم سلمة وتزوجه

صلى الله عليه وسلم بها

يعنى أن أمنا هندا المكناة أم سلمة من السادة بنى مخزوم أعمدة العز والشرف وهى بنت أبى أمية واسمه حذيفة وقيل سهل بن المغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب ، ففى مرة تجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمها عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن خزيمة بن علقمة بن فراس .

وكان أبو أمية هذا يلقب بزاد الركب وكذلك زمعة بن الأسود ومسافر ابن أبى عمرو لأنهم كانوا إذا سافروا يكفون كل مسافر معهم الزاد ولا يحتاج أحد معهم إلى شىء من الزاد ولو طال السفر ، قال الشيخ أحمد البدوى الشنقيطى فى نظمه عمود النسب أبو أمية قريع الشيعة .

يدعى ويدعى زمعة بن الأسود وابن أبى عمرو مسافر الندى

---

(١) كتب العلامة محمد محمود بن التلاميد التركزى الشنقيطى بهامش القاموس الذى صححه على نسخة مؤلفه : السميذع هكذا فى نسخة المؤلف والدال المهملة منقوطة من أسفلها نقطة صفراء من الذهب على قاعدة السلف وهى نقط الحرف المهمل من أسفل اهـ .

. . . .

لـكونهم يكفون زاد ركبهم بزادهم لله درّ أبيهم

وفى أبى أمية يقول أبو طالب يرثيه :

يقولون زاد الركب غير مدافع بسرو سحيم ضمنته المقابر
وقد أيقن الركب الذى أنت فيهم إذا أرملوا يوما بأنك عاقر
وإلا يكن لحم عبيط فإنه تكب على أفواههن الغرائر

وأشار الناظم إلى كثرة فعله للخصال المحمودة بقوله فكم أفاد الخ .

وأخرج ابن سعد من طريق عاصم الأحول عن زياد بن أبى مريم قال قالت أم سلمة لأبى سلمة بن عبد الأسد بلغنى أنه ليس امرأة يموت زوجها وهو من أهل الجنة ثم لم تتزوج بعده إلا جمع الله بينهما فى الجنة ، وكذلك إذا ماتت المرأة وبقى الرجل بعدها، فتعالَ أعاهدك أن لا أتزوج بعدك ولا تتزوج بعدى قال أبو سلمة أتطيعينى قالت ما استأمرتك إلا وأنا أريد أن أطيعك، قال فإذا مت فتزوجى، ثم قال اللهم ارزق أم سلمة بعدى رجلا خيرا منى لا يُحزِنها ولا يؤذيها قالت فلما مات أبو سلمة قلت من هذا الذى هو خير لى من أبى سلمة فلبثت ما لبثت ثم تزوجنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اهـ .

وكان ذلك فى شوال من السنة الرابعة التى مات فيها أبو سلمة على الصحيح

وفى الصحيح عن أم سلمة أن أبا سلمة قال لها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم عندك أحتسب مصيبتى فأجرنى فيها وأبدلنى بها خيرا منها » وفى صحيح مسلم وغيره أنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول

. . . .

إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها إلا آجره الله تعالى فى مصيبته وأخلف له خيرا منها » قالت فلما مات أبو سلمة قلت أى المسلمين خير من أبى سلمة ، أول بيت هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم إنى قلتها فأخلف الله لى خيرا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى رواية الترمذى عنها قالت فلما احتضر أبو سلمة قال اللهم اخلفنى فى أهلى خيرا منى فلما قبض قالت أم سلمة إنا لله إلى آخر القصة .

ومناقبها كثيرة فى المطولات فليراجعها من أرادها .

واختلف فى تاريخ وفاتها واقتصر الشيخ عبد العزيز المغربى الفاسى نزيل المدينة المنورة ناظم قرة الأبصار على أصحها عنده فقال :

وهند هى كم لهـــا من فضل تزوجت من بعد موت البعل
خيرَ الورى وفى إمارة يزيد فى عام ستين قضت بلا مزيد
وبالبقيع دفنت وهاجرا ثنتين فى أول من قد هاجرا

وهى آخر أمهات المؤمنين موتا وصلى عليها أبو هريرة ، وضمير التثنية فى قوله (وهاجرا) راجع إلى أم سلمة وزوجها أبى سلمة فهى أول ظعينة هاجرت إلى الحبشة وإلى المدينة المنورة على اختلاف فى أولية هجرتها قبل غيرها وأما نفس الهجرتين فلا خلاف أنهما هاجرا إلى الحبشة ثم إلى المدينة المنورة رضى الله عنهما . ثم قال الناظم رحمه الله :

وَأُمُّنَا رَمْلَةُ مِنْ سَرَاةِ سَادَاتِ عَبْدِ شَمْسٍ السَّادَاتِ
بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ سَيِّدِ الْحَضَرْ وَالبَدْوِ مِنْ قُرَيْشٍ أَشْرَافِ مُضَر
يَجْمَعُهَا مَعَ إِمَامِ الرُّسْلِ جُدُّهُمَا عَبْـــدُ مَنَافِ الْعَلِي

نسب السيدة أم حبيبة وتزوجه

صلى الله عليه وسلم بها

السيدة (رملة) هى أم حبيبة رضى الله عنها و (السراة) بفتح السين المهملة جمع سرى كغنى بمعنى الشريف قال عمرو بن معديكرب رضى الله عنه .

أطلت فراطـكم حتى إذا ما قتلت سَراتـكم كانت قطاط

وقال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :

وهانَ على سرَاة بنى لؤى حريق بالبويرة مستطير

طرائف استطرادية

ليس فى كتاب المدونة التى هى أم مذهب الإمام مالك بيت شعر سوى بيت حسان هذافى كتاب الجهاد من المدونة (ابن وهب) عن الليث بن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أحرق نخل بنى النضير وهى البويرة ولها يقول حسان بن ثابت « وهان » البيتَ .

وقال العالم العامل الولى الصالح مجاب الدعوة يوسف بن محمد بن يوسف أبو الفضل المعروف بابن النحوى ناظم :

اشتــدى أزمة تنفرجى قـــد آذن ليلك بالبلَج

يصف أهل زمانه :

أصبحت فيمن لهم دين بلا أدب ومن له أدب عارٍ من الدين

. . . .

أصبحت فيكم غريب الشكل منفردا كبيت حسان فى ديوان سحنون

وهو رحمه الله تعالى يصف أهل القرن الخامس فكيف لو رأى أهل زماننا هذا آخر القرن الرابع عشر - توفى رحمه الله تعالى فى المحرم سنة ثلاث عشرة وخمسمائة وعمره ثمانون سنة انتهى ملخصا من نيل الابتهاج بتطريز الديباج .

قال السهيلى فى الروض الأنف لاينبغى أن يقال فى سراة القوم إنه جمع سرى ويا سبحان الله كيف يكون جمعاً وهم يقولون جمع سراة على سروات مثل قطاة وقطوات يقال هؤلاء من سروات الناس كما تقول من رؤسهم ولو كان السراة جمعا لماجمع لأنه على وزن الفعلة ومثل هذا البناء فى الجموع لايجمع وإنما سرِىٌّ فعيل من السرو وهو الشرف فإن جمع على لفظه قيل سرى وأسرياء كغنى وأغنياء ولكنه قليل وجوده وقلة وجوده لا تدفع القياس فيه وقد حكاه سيبويه اهـ .

(يقول محمد المصطفى) كلام السهيلى هذا هو فى الجزء الثانى من الروض الأنف بأوسع من هذا ذكره على شرح بيت أبى أسامة معاوية بن زهير من أشعار المشركين وهم منهزمون يوم بدر

وإن تركت سراة القوم صرعى كأن خيارهم أذباح عُـــتَر

وقد اختصره البغدادى ونقلت اختصاره قبل أن أقف على الروض الأنف فنبهت على ذلك من يريد الوقوف عليه فى محله واستشهد السهيلى بقول قيس بن الحطيم

وعمرة من سروات النسا تنفح بالمسك أردانهـــا

. . . .

ونقل الشيخ عبد القادر البغدادى كلام السهيلى باختصار فى الجزء الثالث من كتابه خزانة الأدب من الطبعة الأولى مصححا له بدليل قوله (مطلب أن السراة مفرد لا جمع) اهـ والسادة جمع سيد .

يعنى أن أمنا رملة من أشراف سادات بنى عبد شمس وهى بنت أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وأمها صفية بنت أبى العاص بن أمية بن عبد شمس عمة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه فتجتمع سيدتنا رملة مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف .

واُعلم أن أم المؤمنين رملة هى أقرب الزوجات نسبا إلى النبى صلى الله عليه وسلم ثم خديجة تجتمع معه فى قصى جده الرابع(١) ثم عائشة وأم سلمة تجتمعان معه فى مرة جده السادس ثم حفصة تجتمع معه فى كعب جده السابع ثم سودة تجتمع معه فى لؤى جده الثامن ثم زينب بنت جحش تجتمع معه فى خزيمة جده الرابع عشر ثم جويرية تجتمع معه فى الياس جده السادس عشر ثم زينب بنت خزيمة وميمونة بنت الحارث تجتمعان معه فى مضر جده السابع عشر ثم صفية تجتمع معه فى سيدنا إبراهيم خليل الرحمن على نبينا وعليه الصلاة والسلام وهو جده الثلاثون على ما اختاره العراقى من الخلاف فيما فوق عدنان فقال :

عدنان فى القول الأصح بن أدَدْ   و بعضهم يزيد أداً فى العدد

---

(١) أول أجداده صلى الله عليه وسلم عبد المطلب وعدنان جده العشرون .

.. ..

بينهما وأدَدٌ والـــده مُقَوم ناحور بعـدُ جـده
وهو ابن تيرح أى ابن يعربا وان يعرب هو ابن يشجبا
وهو ابن نابت واسماعيـل أبٌ له والده الخليـل

وهذا فى الحقيقة مذكور فى النظم والشرح متفرقا فى محـاله لـكن جمعه يقربه للمبتدئين .

وقوله : (سيد الحضر)إلخ وصف أبى سفيان ، وسيادته فى قريش مشهورة ويكفيه أن راية قريش المعروفة بالعُقاب كانت إليه وكان لا يحبسها إلا رئيس فإذا حميت الحرب اجتمعت قريش فوضعت تلك الراية بيد الرئيس ، وأمه صفية بنت حزن الهلاليه عمة أم المؤمنين ميمونة رضى الله تعالى عنها .

أسلم أبو سفيان عام الفتح ، واختلف فى حسن إسلامه فقالت طائفة إنه لما شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا وأعطاه مائة بعير وأربعين أوقية وَزَنها له بلال قال والله إنك لـكريم فداك أبى وأمى لقد حاربتك فنعم المحارب كنت ولقد سالمتك فنعم المسالم أنت جزاك الله خيرا فهذا يدل على حسن إسلامه .

ويدل عليه أيضا أنه لما أصيبت عينه فى حرب الطائف جاء بها إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال هذه عينى أصيبت فى سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم إن شئت دعوت فردت عليك وإن شئت فالجنة قال الجنة فهذا صريح فى صحة إسلامه فإن الجنة لايدخلها إلا مسلم إجماعا ، والقول الثانى أضربت عنه صفحا لثبوت إسلامه ومصاهرته لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

. . . .

(تنبيه مهم)

وقع فى صحيح مسلم فى فضائل أبى سفيان حديث فى غاية الاشكال ، وإياك أيها الناظر أن تسيء الظن بأن هذا طعن فى الإمام مسلم حاشا وكلا ولكن كما قال الإمام الشافعى لما جلس ثلاثين سنة على ماقيل يحرر كتابه المعروف بالأم وكلما رجع إليه أصلح فيه شيئا قال صدق الله العظيم ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ .

ولفظ حديث مسلم قال حدثنا عباس بن عبد العظيم العنبرى وأحمد بن جعفر المعقرى قالا حدثنا النضر وهو ابن محمد اليمانى حدثنا عكرمة حدثنا أبو زُمَيْل حدثنى ابن عباس قال كان المسلمون لاينظرون إلى أبى سفيان ولا يقاعدونه فقال للنبى صلى الله عليه وسلم يانبى الله ثلاث أعطنيهن قال نعم قال عندى أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبى سفيان أزوجكها قال نعم قال ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك قال نعم قال وتؤمِّرنى حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين قال نعم انتهى المراد منه .

قال الإمام النووى وأعلم أن هذا الحديث من الأحاديث المشهورة بالاشكال لأن أبا سفيان أسلم يوم فتح مكة سنة ثمان من الهجرة وهذا مشهور لاخلاف فيه وكان النبى صلى الله عليه وسلم تزوج أم حبيبة قبل ذلك بزمان قال أبو عبيدة وخليفة بن خياط وابن البرقى والجمهور تزوجها سنة ست وقيل سنة سبع قال القاضى عياض واختلفوا أين تزوجها فقيل بالمدينة بعد قدومها من الحبشة وقال الجمهور بأرض الحبشة قال ، واختلفوا فيمن عقد له عليها هناك فقيل عثمان وقيل خالد بن سعيد بن العاص باذنها وقيل النجاشى لأنه كان أمير البلد

. . . .

وسلطانه ، قال القاضى عياض والذى فى مسلم هنا من أنه زوجها أبو سفيان غريب جدا وخبرها مع أبى سفيان حين ورد المدينة فى حال كفره مشهور اه ولم يزد القاضى على هذا (يقول محمد المصطفى) ومراد القاضى عياض بخبرها مع أبى سفيان هو أنه لما دخل أبو سفيان على ابنته أم حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وأراد أن يجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال يابنية ماأدرى هل رغبت بى عن هذا الفراش أو رغبت به عنى قالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس ولم أحب أن تجلس على فراشه قال والله لقد أصابك بعدى شر يابنية فقالت بل هدانى الله تعالى للإسلام وأنت تعبد حجرا لايسمع ولا يبصر واعجبا منك ياأبت وأنت سيد قريش وكبيرها كيف يبعد عنك الدخول فى الإسلام فقال أنا أترك ما كان يعبد آبائى واتبع دين محمد اه .

وهذا مشهور لاخلاف فيه ذكره ابن اسحاق وغيره فى ذكر أسباب فتح مكة، ثم ذكر النووى كلام ابن حزم وذكران ابن الصلاح رد عليه ثم ختم النووى الكلام بما يفهم منه أن الصواب عنده مع ابن حزم .

(يقول محمد المصطفى) ونحن ننصر ابن الصلاح ونشكره على ذبّه عن الأئمة لكن إذا تبين الحق مع غيره فالحق أحق أن يتبع فإن ابن الصلاح رحمه الله تعالى رد على ابن حزم باحتمالات بعيدة مرجوحة تتلاشى وتضمحل أمام النصوص الصحيحة الصريحة ولا يقدح ذلك فيه ولا ينقص من جلالته بل له عليه أجر لأنه اجتهد ونيته إن شاء الله حسنة والمجتهد إذا أخطأ فله أجر والإمام مسلم لايحتاج إلى منتصر عندنا غير أنا لانقول بعصمة غير الأنبياء .

.. ..

وقال إمامنا مالك إمام دار الهجرة كل كلام فيه مقبول ومردود إلا كلام صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم .

وقد أخطأ جمع من العلماء الأعلام فى فهم حديث رواه إمامنا مالك فى موطئه حتى نسب بعضهم لمالك الخطأ فيه وتكلف له بعضهم وجه الصواب ولم يهتدوا لعين الصواب فيه مع وضوحه عند من ألهمه الله فهمه فإنى لما قرأت الموطأ ورأيت كلام الشارحين فى الحديث عجبت كيف خفى عليهم فتذكرت قول الله حكاية عن ملائكته (سبحانك لا علم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم) فحمدت الله تعالى الذى ألهمنى الصواب فيه .

وهذا نص حديث الموطأ فى المستحاضة « مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أبى سلمة أنها رأت زينب بنت جحش التى كانت تحت عبد الرحمن بن عوف وكانت تستحاض فكانت تغتسل وتصلى ا هـ .

(يقول محمد المصطفى) وهذا عندى واضح من عبارة زينب راوية الحديث حيث وصفت زينب صاحبة القصة بأنها التى كانت تحت عبد الرحمن قصدا إلى تمييزها عن التى يتبادر إليها الذهن عند الإطلاق وهى أم المؤمنين زينب بنت جحش رضى الله عنها زوج الرسول صلى الله عليه وسلم ولو تنبه العلماء إلى ذلك لاهتدوا للصواب ولم ينسبوا لمالك مانسبوه ، وقد اهتدى إلى الصواب فى ذلك القاضى يونس بن مغيث فى كتابه المستوعب شرح الموطأ قال كل واحدة من بنات جحش اسمها زينب وكنية إحداهن أم حبيبة ولقب إحداهن حمنة فإذا كان كذلك لاخطأ فيه اهـ .

وأخرج مسلم أن أم حبيبة بنت جحش ختَنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

. . . .

(أى أخت زوجته) وتحت عبد الرحمن بن عوف استحيضت سبع سنين فهذا يصحح ماتقدم .

واتحاد اسم الأخوات واقع من زمن الصحابة إلى هذا الوقت مع أن أم المؤمنين كان اسمها برة فلما تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم غير اسمها فسماها زينب فمن الصحابيات لبابة الكبرى أم أولاد العباس بن عبد المطلب وأختها لبابة الصغرى أم خالد بن الوليد سيف الله ، وكذلك عائشة بنت سعد الكبرى وأختها عائشة الصغرى وهذا كثير يعرفه من له علم بأسماء السلف ، وهو موجود فى زماننا هذا إلا فى بلاد شنقيط لجريان عادتهم بأنهم لايسمون الشخص باسم أبيه ولا أخيه إلا إذا مات الرجل وولده حمل فى بطن أمه يسمى عليه أو مات الأخ قبل ولادة أخيه يسمى عليه كذلك ، وأنا من هذا فإن أخى سمى محمدا المصطفى ومات قبل ولادتى فسميت باسمه .

تنبيـــــه

وقع فى صحيح البخارى أن الإسراء بالنبى صلى الله عليه وسلم كان قبل نزول الوحى وهذا لايقبل الصحة أيضا ومثل هذا لايقدح فى الأئمة لأنهم غير معصومين اللهم ارحمهم وارحمنا معهم وأجزهم عنا خيرا وأنفعنا بعلومهم واحشرنا فى زمرتهم آمين .

(عود إلى الكلام على أم حبيبة) رضى الله عنها فهى كانت قبل النبى صلى الله عليه وسلم تحت عبيد الله بن جحش فأسلما وهاجرا إلى الحبشة ثم تنصر عبيد الله وثبت الله أم حبيبة ففارقته لما ارتد عن الإسلام والعياذ بالله .

. . . .

أخرج ابن سعد من طريق اسماعيل بن عمر بن سعيد الأموى قال قالت أم حبيبة رأيت فى المنام كأن زوجى عبيد الله بأسوءِ صورة ففزعت فأصبحت فإذا به تنصَّر فأخبرته بالمنام فلم يحفل به وأكب على الخمر حتى مات قالت فأتانى آت فى المنام فقال ياأم المؤمنين ففزعت فما هو إلا أن انقضت عدتى فما شعرت إلا برسول النجاشى يستأذن فإذا هى جارية له يقال لها أبرهة فقالت إن الملك يقول لك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أن أزوجك منه فوكلى من يزوجك فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص بن أمية فوكلته وأعطيت أبرهة سوارين وخواتم من فضة فلما كان العشى أمر النجاشى جعفر ابن أبى طالب فحضر هو ومن معه من المسلمين فخطب النجاشى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أن أزوجه أم حبيبة فأجبت وقد أصدقتها عنه أربعمائة دينار ثم سكب الدنانير فخطب خالد فقال قد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته أم حبيبة وقبض الدنانير وعمل لهم النجاشى طعاما فأكلوا قالت أم حبيبة فلما وصل إلىَّ المال أعطيت أبرهة خمسين دينارا قالت فردتها على وقالت إن الملك عزم عليها بذلك وردت على ما كنت أعطيتها أولاً ثم جاءتنى من الغد بعود وعنبر وورس وزباد[١] كثير فقدمت به معى على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى أنه لما بلغ أبا سفيان أن النبى صلى الله عليه وسلم نكح ابنته قال هو الفحل لايقدع أنفه .

---

(١) هذه أنواع من الطيب معروفة فى غالب البلاد

هذا وللتهذيب رَعْىٌ قدَّما رملةَ عن محلهـا اللَّذْ عُلِما
إذ هى فى مرتبةٍ تَلِي جُوَيـ ـرِيَةَ قبل أمِّنَا بنت حُيَىْ

ولنقتصر على هـذا القليل من خبرها قال عبد العزيز الفاسى ناظم قرة الأبصار .

ورمـــلة بنت أبى سفيانا تزوجت خـير الورى وكانا
وليهـــا خالدا أو عثمانا عنــد النجاشى كما أتانا
فسلم المهر إليهـــا أجمعا من الدنانير مئات أربعا
وعام سبع أهديت لأحمـــدا وموتهـا فى عام مدٍّ قد بدا

يعنى بقوله « عام مدّ » عام أربعة وأربعين من الهجرة فالميم أربعون والدال أربعة وهذا أصح الأقوال فى تاريخ موتها ـ ثم قال رحمه الله .

(هذا) خبر مبتدأ محذوف أو العكس (للتهذيب) أى لتحسين النسج وتنسيق النظم (رعى) أى مراعاة (قدما) بفتح القاف فعل ماض وألفه للاطلاق وفاعله ضمير يعود على التهذيب و (رملة) مفعوله (عن محلها) متعلق بالفعل قبله والضمير عائد على رملة (اللذ) لغة فى الذى .

ولما ذكر الناظم الزوجات القرشيات الست ومنهن السيدة رملة وكان ذلك ربما يوهم تقدمها فى التزوج به صلى الله عليه وسلم على غير القرشيات الخمس مع أن محلها فى ترتيب التزوج به صلى الله عليه وسلم بعد السيدة جويرية وقبل السيدة صفية قصد رحمه الله دفع هذا الإيهام بقوله إن الذى اقتضى هذا التقديم فى الذكر هو ضرورة تحسين النسج بجمع القرشيات فى الذكر فقط بقطع النظر عن ترتيب التزويج به صلى الله عليه وسلم .

ومن سواهم قد بنى بخمس ... بهنَّ ياقدُّوسُ قدِّسْ نفسِى
الزينبان أمُّنا جُوَيْرِيَة ... صفيةٌ ميمونةُ الهلاَليـة
فبنتُ جحشٍ بنتُ عمةِ النبى ... برَّةُ سمـاها النبى بزَينَب
من أسدٍ وهى بعقدِ الله ... نكاحَها أزواجَـه تباهى
يجمعهـا مع النبيِّ المصطفىَ ... جدها خُزَيمةٌ أخ الوفا

أمهات المؤمنين غير القرشيات خمس

ثم بين الناظم أن من دخل بهن من الزوجات غير القرشيات خمس وهنَّ الزينبان زينب بنت جحش وزينب بنت خزيمة وجويريه وصفية وميمونة رضى الله عنهن .

والضمير فى قوله (سواهم) عائد إلى قريش والباء فى (بهنَّ) سببية و (القدوس) من أسمائه تعالى من التقديس وهو التطهير أى بجاههن عندك ياقدوس طهر نفسى من النقائص . وأنا أسأل الله تعالى ذلك وأرجوه من فضله . ثم شرع فى التعريف بهن رضى الله عنهن على التفصيل .

نسب السيدة زينب بنت جحش وتزوجه

صلى الله عليه وسلم بها

يعنى أن إحدى الزينبين هى أمنا زينب بنت جحش بن رئاب بن يَعْمُر ابن صَبْرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دُودان بن أسد بن خزيمة بن مُدرِكة فنى خزيمة تجتمع معه صلى الله عليه وسلم .

(قلت) وهذا عجيب لـكنه ممكن والغالب على ظنى أن فى نسبها سقطا ولـكن هذا هو الذى وجدته من نسبها فى كتاب الاستيعاب للحافظ ابن عبدالبر وكان اسمها برة فسماها النبى صلى الله عليه وسلم زينب .

. . . .

وأمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن خصائصها أنها هي التي زوجها الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بدون ولي قال تعالى : ﴿ فلما قضى زيد منها وطراً زوَّجنا كها ﴾ وكانت رضي الله عنها تفخر على أزواجه صلى الله عليه وسلم بذلك فتقول إن آباءكن أنكحوكن والله تعالى أنكحني إياه من فوق سبع سماوات قال ناظم قرة الأبصار :

وبنت جحش بنت عمة الرسول زوجها الرحمن بارىء العقول
خيرَ نبي إذ قضى منها الوطر زيد وماتت في خلافة عمر
إذ فتحت مصر وكانت أطولا نسائه يدًا كما قد نقلا

ومناقبها كثيرة وبسببها نزلت آية الحجاب، وفي خبر تزويجها عند ابن سعد : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث عند عائشة إذ أخذته غشية فسُرى عنه وهو يبسم ويقول من يذهب لزينب فيبشرها وتلا قوله تعالى : ﴿ وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله ﴾ الآية . قالت عائشة فأخذني ماقرب ومابعد لما يبلغنا من جمالها وأخرى هي أعظم وأشرف ماصنع الله لها زوَّجها من السماء وقالت هي تفخر علينا بهذا .

(قلت) : قول عائشة فأخذني ما قرب وما بعد كناية عن شدة الغيرة وقولها وأخرى هي أعظم وأشرف عطف على قولها لما يبلغنا من جمالها تعني أن شدة غيرتها بسبب مسئلتين الأولى مايبلغها من جمالها والثانية أن الله تعالى زوجها لنبيه صلى الله عليه وسلم من السماء وكان ذلك سنة ثلاث أو أربع .

وفي الصحيحين واللفظ لمسلم عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . أسرعكن لحاقا بي أطولكن يداً . قالت فكنَّ يتطاولن أيتهن أطول يداً قالت وكانت أطولنا يداً زينب لأنها كانت تعمل بيديها وتتصدق .

. . . .

وفى رواية قالت عائشة فكنا إذا اجتمعنا فى بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم نمد أيدينا فى الجدار نتطاول فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش وكانت امرأة قصيرة ولم تكن بأطولنا فعرفنا حينئذ أنه إنما أرد طول اليد بالصدقة وكانت زينب امرأة صَنَاع اليدين فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق به فى سبيل الله «صناع» بفتح أوله : لها صنعه تعملها بيديها .

وروى ابن عبد البر من وجوه عن عائشة أنها قالت كانت زينب بنت جحش تساميني فى المنزلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وما رأيت امرأة قط خيرا فى الدين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثا وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشد تبذلا لنفسها فى العمل الذى تتصدق به وتتقرب به إلى الله عز وجل .

وقالت عائشة فيها فى قصة الإفك : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب عن أمرى فقالت يا رسول الله احمى سمعى و بصرى والله ما علمت إلا خيرا فعصمها الله بالورع .

ومن كرمها وزهدها مانقله الحافظ ابن حجر فى كتاب الإصابة فى ترجمة برزة بنت رافع قالت لما خرج العطاء أرسل عمر إلى زينب بنت جحش بالذى لها وهو أثنا عشر ألفا فلما أدخل عليها قالت غفر الله لعمر ، غيرى من إخوانى كان أقوى على قسم هذا منى قالوا هذا كله لك قالت سبحان الله واستترت منه بثوب وقالت صُبُّوه وأطرحوا عليه ثوبا ثم قالت لى أدخلى يدك فاقبضى منه قبضة قبضة فاذهبي بها إلى بنى فلان و بنى فلان من أهل رحمها وأيتامها

. . . .

ففرّقته حتى بقيت منه بقية تحت الثوب فقالت لها برزة غفر الله لك ياأم المؤمنين والله لقد كان لنا فى هذا حق قالت فلكم ما تحت الثوب فوجدنا تحته خمسة وثمانين درهما ثم رفعت يدها إلى السماء وقالت : اللهم لايدركنى عطاء عمر بعد عامى هذا فماتت

وزاد فى ترجمتها فى الإصابة أنها لم تأخذه إلا عاما واحدا فجعلت تقول اللهم لايدركنى هذا المال من قابل فإنه فتنة ثم قسمته فى أهل رحمها من أهل الحاجة فبلغ ذلك عمر فقال هذه امرأة يراد بها خير فوقف عليها وأرسل بالسلام وقال بلغنى مافرقت فأرسل بألف درهم تستبقينها فسلكت بها ذلك المسلك .

وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب « إن زينب بنت جحش أوّاهة » قال رجل يارسول الله ما الأوّاه قال صلى الله عليه وسلم « الخاشع المتضرع وإن إبراهيم لحليم أواه منيب » .

وأخرج ابن سعد عن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق قال قالت زينب بنت جحش حين حضرتها الوفاة إنى قد أعددت كفنى وإن عمر سيبعث إلى بكفن فتصدقوا بأحدهما وإن استطعتم أن تتصدقوا بحقوى فافعلوا اه والحقو بفتح الحاء المهملة وسكون القاف الازار الذى يلبسه الإنسان من سرته إلى أسفله .

وروى من وجه آخر عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت بعث عمر بخمسة أثواب من كتان فكفنت فيها وتصدقت عنها أختها حمنة بكفنها الذى كانت أعدّته قالت عمرة فسمعت عائشة تقول لقد ذهبت تعنى زينب حميدةً متعبدة مفزع اليتامى والأرامل وتوفيت رضى الله عنها سنة عشرين فى خلافة عمر

وَمِنْ بنى مصطلق جُوَيْرِيَةْ أَيمنُ عُرس أمُّنا الخراعِيَـــهْ
نَال بها عشيرها إذ أسروا مَالَمْ ينــــله بالنساء معشرُ
إذْ أعتِقوا وهم زهــــاء مائةِ بيت من استرقاق أهْل اِـلَّهِ

عن ثلاث وخمسين سنه وصلى عليها عمر رضى الله عنهما . انتهى ملخصا من الاستيعاب والإصابة [1] ـ ثم قال رحمه الله تعالى .

* * *

السيدة جويرية زوج النبي

صلى الله عليه وسلم

(بنو المصطلق) نخذ من خزاعة ، و (أيمن) بمعنى أبرك ، و (العرس) امرأة الرجل ورجلها و يقال للرجل والمرأة ماداما فى أعراسهما عروس .

وقولهم : « لا عطر بعد عروس » قالته أسماء بنت عبد الله العذرية واسم زوجها عروس ومات عنها فتزوجها رجل أعسر أبخر بخيل دميم فلما أراد أن يظعن بها قالت لو أذنت لى رثيت ابن عمى فقال أفعلى فقالت :

أبكيك ياعروس الأعراس ، ياثعلبا فى أهله وأسدا عند الباس

مع أشياء ليس يعلمها الناس

فقال وما تلك الأشياء فقالت :

كان عن الهمة غير نعَّاس ، ويعمِل السيف صبيحات البأس

ثم قالت :

ياعروسُ الأغر الأزهر، الطيب الخيم الكريم المحضر ، مع أشياء لاتذكر ، فقال وما تلك الأشياء قالت ، كان عيوفا للخنى والمنكر ، طيب النكهة

---

(١) « سيأتى القول فى أم المؤمنين زينب بنت خزيمة فيما بعد .

. . . . . ، . . . .

غير أبخر ، أيسر غير أعسر ، فعرف الرجل أنها تعرِّض به فلما رحل بها قال ضمى إليك عطرك وقد نظر إلى قَشوة عطرها مطروحة فقالت لا عطر بعد عروس ، أو تزوج رجل امرأة فأهديت إليه فوجدها تفِلة فقال أين عطرك فقالت خبأته فقال لا مخبأ لعطر بعد عروس وهذا مثل يضرب لمن لا يؤخر عنه نفيس .

وقول الناظم (نال بها عشيرها) إلخ أى أصاب بها أهلها ما لم يصبه قوم آخرون بنسائهم (والأسر) الشدّ والعصب (والعتق) الحرية والإخراج من الرق (وزهاء) أى مقدار (والاسترقاق) امتلاك رقبة الإنسان (وأهل الملة) أى الشريعة هم المسلمون قال تعالى (ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين) .



وقد أشار الناظم بهذا إلى حديث عائشة فى شأن جويرية بنت الحارث وزواجه صلى الله عليه وسلم بها قالت : لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بنى المصطلق وقعت جويرية فى سهم ثابت بن قيس بن شمَّاس أو ابن عم له فى سنة خمس أو ست فكاتبته على نفسها بتسع أواق من ذهب وكانت امرأة حلوة مَلاَحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه فى كتابتها قالت عائشة فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتى فكرهتها وقلت سيرى منها ما قد رأيت فلما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت يارسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه قد نزل بى من البلاء ما لا يخفى عليك وقد كاتبت على نفسى فأعنِّى على كتابتى فقال أوَخير من ذلك أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك فقالت نعم فأرسل إلى ثابت بن قيس فطلبها منه فقال ثابت هى لك يا رسول الله بأبى وأمى فأدى صلى الله عليه وسلم ما كان

.. ..

من كتابتها واعتقها وتزوجها . فبلغ الناس أنه تزوجها فقالوا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلوا ما كان فى أيديهم من بنى المصطلق ، فقد أعتق الله بسببها مائة بيت من بنى المصطلق ، فما أعلم امرأة أعظم منها بركة على قومها اﻫ .

(قال محمد المصطفى) ومثلها أم سُلَيم بنت مِلحان أم أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان مهرها إسلام أبى طلحة فلم يكن مهر امرأة أبرك على عامة المسلمين من مهر أم سليم اﻫ .

وفى صحيح مسلم عن جويرية رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهى فى مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهى جالسة فيه فقال ما زلت اليوم على الحال التى فارقتك عليها قالت نعم فقال صلى الله عليه وسلم « لقد قلت بعدكِ أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لو زنتهن : سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزِنة عرشه ومداد كلماته » وفى رواية « سبحان الله عدد خلقه سبحان الله رضا نفسه سبحان الله زنة عرشه سبحان الله مداد كلماته » ، وفى رواية الترمذى « ألا أعلمك كلمات تقولينها سبحان الله عدد خلقه سبحان الله عدد خلقه سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رِضا نفسه سبحان الله رضا نفسه سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه سبحان الله زنة عرشه سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله مِداد كلماته سبحان الله مداد كلماته سبحان الله مداد كلماته » اﻫ .

وروى ابن حجر فى الإصابة عن ابن منده فى كتاب المعرفة وسنده صحيح قال سبى النبى صلى الله عليه وسلم جويرية يعنى وتزوجها فجاء أبوها فقال إن ابنتى لا يُسبى مثلها فخلِّ سبيلها فقال النبى صلى الله عليه وسلم (أرأيت إن خيَّرتها

.. ..

أليس قد أحسنت) قال بلى فأتاها أبوها فذكر لها ذلك فقالت اخترت الله ورسوله اﻫ .

وفى صحيح البخارى عن جويرية رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوم جمعة وهى صائمة فقال « أصمت أمس » قالت لا قال « تصومين غدا » قالت لا قال « فأفطرى » .

وعند مسلم فى كتاب الزكاة فى باب إباحة الهدية للنبى صلى الله عليه وسلم من طريق الزهرى عن عبيد بن السباق عن جويرية بنت الحارث قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل من طعام قلت لا والله يا رسول الله ما عندنا طعام إلا عظما من شاة أعطيتهُ مولاتى من الصدقة فقال (قرِّبيه فقد بلغت محلها) اﻫ يعنى أن كونه صدقة مقصور على المولاة التى أعطى لها وبعد ما صار فى ملكها زال عنه وصف الصدقة فصار حلالا له صلى الله عليه وسلم .

وفى صحيح مسلم أنها كان اسمها برة فسماها النبى صلى الله عليه وسلم جويرية كره أن يقال خرج من عند برة اﻫ (قال محمد المصطفى) هذا يعارضه ماتقدم عن عائشة من قول جويرية عند مجيئها للنبى صلى الله عليه وسلم تستعينه أنا جويرية إلخ اللهم إلا أن يقال كان لها الاسمان فأثبت صلى الله عليه وسلم جويرية وألغى برة .

واختلف فى تاريخ وفاتها فقيل ماتت فى ربيع الأول سنة خمسين من الهجرة عن خمس وستين سنة وقيل بقيت إلى ربيع الأول سنة ست وخمسين وصلى عليها مروان بن الحكم ودفنت بالبقيع . انتهى ملخصا من الاستيعاب والاصابة .

وإلى بعض ما ذكر أشار ناظم قرة الأبصار بقوله :

وهي بنتُ حارثٍ نجل أبي ... ضِرارٍ القائدِ صاحب النبي
يجمعها مع النبي الهادِي ... جدهما إلياس ذو الأيادي

ومن نساء المصطفى جويريه ... توفيت في عام نولِتَذْرِيَهْ
وقد سباها في غزاة المصطلق ... من بعلها مُسافع بالمنزاِق
ودفع النجــوم لابن قيس ... عنها فما أبركها من عُرس
إذ أرسل الناس السبايا طرّا ... لما غــدا المصطلِقيُّ صهرا
للمصطفى عليه من رب الأنام ... وآله أزكى الصلاة والسلام

قوله (في عام نو) رمز بالنون والواو من حروف أبجد إلى سنة وفاتها فالنون خمسون والواو ستة ، « اختياراً للقول الثاني » والمنزلق اسم من أسماء السيف ، ويعني بالنجوم نجوم الكتابة ومعنى ذلك دفع الدراهم على أجزاء من الزمن معينة ثم بين الناظم نسبها بقوله :

نسب السيدة جويرية وزواج النبي

صلى الله عليه وسلم بهـا

يعني أن أم المؤمنين جويرية هي بنت الحارث بن أبي ضِرار بن حبيب ابن عائذ بن مالك بن جُزيمة . وجُزَيمة هو المصطلق بن عمرو بن ربيعة بن حارثة ابن عمرو الخزاعية المصطلقية. والقائد الرئيس، وأشار الناظم بقوله (صاحب النبي) إلى أن أباها الحارث صار صحابيا كما سيأتي . وهي تجتمع معه صلى الله عليه وسلم في جده السادس عشر وهو إلياس (ذو الأيادي) أي المزايا والفضائل والفواضل. ومن فواضله أنه أول من أهدى البدن إلى البيت الحرام .

وأمُّنا صفيَّـــة الصفية ذاتُ المزايا الجمـــة العلية
إذْ عَمُّها موسى وزوجها النبي وجـــدها هارون عالى الرتب
بنت حُيَيِّ قائــد اليهودِ قَرْمُ النضير وهو ذو جحُودِ
بالمصطفى نعوذ بالرحمن من موجبات المقت والحرمانِ
يجمعهـــا مع رسول الله أبو النبيين خليـــل الله

نسب السيدة صفية وزواجه بها
صلى الله عليه وسلم

هى أم المؤمنين صفية رضى الله عنها . واسمها مشتق من الصفوة وهى نقيض الـكدر . وصفوة الشىء مثلثة الصاد ماصفا منه كصفوه (ذات المزايا) صاحبة الخصال المحمودة (الجمة العلية) الـكثيرة الرفيعة من العلو والارتفاع (إذ) سببية . يعنى أن اتصافها بما ذكر سببه كون سيدنا موسى عليه السلام عمها (القائد) الرئيس (القرم) السيد (الجحود) إنـكار الشىء بعد تحققه (المقت) البغض (الحرمان) منع العطاء .

وأم المؤمنين صفية هى بنت حيي بن أخطب بن سعنة بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبى حبيب بن النضير بن النحام بن تخوم من سبط لاوى بن يعقوب من ذرية هارون بن عمران أخى موسى كليم الرحمن عليهما الصلاة والسلام من بنى إسرائيل، وأم صفية من بنى قريظة واسمها برة بنت سموال بكسر السين المهملة وسكون الميم أخت رفاعة بن سموال المذكور فى موطأ إمامنا مالك فى باب (نـكاح المحلل) .

وصفية رضى الله عنها أبعد أزواجه صلى الله عليه وسلم منه نسبا تجتمع معه صلى الله عليه وسلم فى جدهما خليل الله إبراهيم عليه السلام كما قدمنا .

. . . .

ومن أعظم ما تفضل الله عليها به شدة محبتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم من ابتداء أمرها إلى انتهائه مع وجود دواعي ضد ذلك من شدة معاداة أبيها وقومها له صلى الله عليه وسلم ولـكن الله تعالى حبّب إليها الإيمان وزينه فى قلبها .

أخرج ابن سعد بأسانيد له عن الواقدى فى قصة خيبر قال لم يخرج النبي صلى الله عليه وسلم من خيبر حتى طهرت صفية من حيضتها فحملها صلى الله عليه وسلم وراءه فلما صار على ستة أميال من خيبر مال يريد أن يعرّس بها فأبت فوجد فى نفسه فلما كان بالصهباء وهى على بريد من خيبر نزل بها هناك ومشطتها أم سُليم بنت مِلحان وعطرتها قالت أم سنان الأسلمية وكانت صفية من أضوء ما يكون من النساء فدخل صلى الله عليه وسلم على أهله تعنى صفية فلما أصبح سألتها عما قال لها فقالت قال « ما حملك على الامتناع من النزول أولاً » فقلت خشيت عليك من قرب اليهود فزادها ذلك عنده وذكرت أنه سرّ بها وأصبح فأولم عليها .

(قال محمد المصطفى) هذا يصلح أن يكون أصلا لما اعتاده أهل شنقيط من قولهم للعروس صبيحة الدخول ما هى كلمتـكا الأولى اه .

وأخرج ابن سعد من طريق سعيد بن المسيب بسند صحيح قال قدمت صفية وفى أذنيها خوص من ذهب فوهبت منه لسيدتنا فاطمة الزهراء ونساء معها

(قال محمد المصطفى) وهذا أيضا يصلح أن يكون أصلا لعادة أهل شنقيط من هبة الزوجة الحلى لبنات زوجها وقريباته اه ، وقال ابن عبد البر كانت صفية عاقلة حليمة فاضلة روينا أن جارية لها أتت عمر بن الخطاب فقالت له إن صفية

تحب السبت وتصل اليهود فبعث إليها فسألها عن ذلك فقالت أما السبت فإنى لم أحبه منذ أبدلنى الله به يوم الجمعة وأما اليهود فإن لى فيهم رحما فأنا أصلها ثم قالت للجارية ما حملك على هذا قالت الشيطان قالت لها صفية اذهبى فأنت حرة اه .

وقال الحافظ ابن حجر ولد صفية مائة نبى ومائة ملِك ثم صيَّرها الله تعالى إلى نبيه.

وفى الصحيحين عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر قال فصلينا عندها صلاة الغداة بغلَس فلما دخل القرية قال الله أكبر الله أكبر الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قال وأصبناها عنوة وجمع السبى فجاءه دحية فقال أعطنى جارية من السبى فقال إذهب فخذ جارية فأخذ صفية بنت حيي فجاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا نبى الله أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة بنى قريظة والنضير ما تصلح إلا لك قال ادعوه بها قال فجاء بها فلما نظر إليها النبى صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبى غيرها وأعتقها صلى الله عليه وسلم وتزوجها (يعنى جعل عتقها صداقها) وفى رواية عند مسلم أنها وقعت فى سهم دحية فاشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبعة أرؤس ثم دفعها إلى أم سليم تَصنعها له وتهيؤها وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وليمتها التمر والأقط والسمن وفُحِصَت الأرض أفاحيص وجىء بالأنطاع فوضعت وجىء بالأقط والسمن فشبع الناس وقال الناس لاندرى أتزوجها أم اتخذها أم ولد قالوا إن حجبها فهى امرأته وإن لم يحجبها فهى أم ولد فلما أراد أن يركب حجبها فقعدت على عجز البعير فعرفوا أنه قد تزوجها فلما دنوا من المدينة دفع رسول الله ودفعنا قال فعثرت الناقة

. . . .

العضباء وندر رسول الله صلى الله عليه وسلم وندرت فقام فسترها اه .

قوله أصبناها عنوة معناه قهرا وغلبة لا صلحاً ، ودحية بكسر الدال المهملة وقد تفتح صحابى ، وقريظة والنضير قبيلتان من اليهود ، وأم سليم بالتصغير بنت ملحان بكسر الميم الصحابية الأنصارية الجليلة أم أنس خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها وزوجة فارسه أبى طلحة، ومعنى تصنعها وتهيؤها بضم التاء فيهما تزينها زينة العروس ، والأقط بفتح الهمزة وكسر القاف اللبن ، ينزع زبده ويجفف ويسمى عند الشناقطة بالقارص ويسمى فى الحجاز وغيره بالمضير ، ومعنى فحصت الأرض كشف وجهها وحفرت حفرا خفيفا لتنشر الانطاع فى الحفر ويصب عليها الطعام ، والأنطاع جمع نطع بكسر النون وفتحها وبالتحريك وكعنب بساط من الأديم أى الجلد ، والعضباء اسم ناقته صلى الله عليه وسلم ، ومعنى ندر خرج من محله يعنى خرجا من ظهر الناقة .

وكانت صفية رأت فى منامها قبل ذلك أن القمر وقع فى حجرها فذكرت ذلك لأمها فلطمت وجهها وقالت إنك لتمدين عنقك إلى أن تكونى عند ملك العرب فلم يزل الأثر فى وجهها حتى أتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عنه فأخبرته ، وفى رواية أنها رأت فى المنام أن الشمس نزلت حتى وقعت على صدرها فقصّت ذلك على زوجها فقال ما تمنين إلا هذا الملك الذى نزل بنا اه .

وأخرج الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على صفية وهى تبكى (فقال لها مايبكيك) قالت بلغنى أن عائشة وحفصة تنالان منى وتقولان نحن خير من صفية نحن بنات عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه قال صلى الله عليه وسلم (ألا قلت لهما كيف تكونان خيرا منى وأبى هارون وعمى موسى وزوجى محمد صلى الله عليهم وسلم) .

. . . .

ومن حسن أدبها ما ذكره المحب الطبرى فى السمط الثمين عازيا لكتاب الصفوة أنه صلى الله عليه وسلم أناخ ناقته وثنى ركبته الشريفة لتطأ عليها حتى تركب الناقة فأجلته صلى الله عليه وسلم ان تطأه بقدمها فوضعت ركبتها على ركبته وركبت الناقة .

وأخرج ابن سعد بسند حسن عن زيد بن أسلم قال اجتمع نساء النبى صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى توفى فيه واجتمع عليه نساؤه فقالت صفية بنت حيي إنى والله يا نبى الله لوددت أن الذى بك بى فغمزن أزواجه ببصرهن فقال صلى الله عليه وسلم مضمضن فقلن من أى شىء فقال من تغامزكن بها والله إنها لصادقة اهـ .

وأخرج ابن سعد من حديث أمية بنت أبى قيس الغفارية قالت أنا إحدى النسوة اللاتى زففن صفية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعتها تقول مابلغت سبع عشرة سنة يوم دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأخرج ابن سعد من طريق عطاء بن يسار قال لما قدمت صفية من خيبر أنزلت فى بيت حارثة بن النعمان فسمع نساء الأنصار فجئن ينظرن إلى جمالها وجاءت عائشة متنقبة فلما خرجت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أثرها فأخذ بثوبها فقال كيف رأيت قالت رأيت يهودية فقال صلى الله عليه وسلم (لا تقولى ذلك فإنها أسلمت وحسن إسلامها).

تنبيه

كان ارتجاعه صلى الله عليه وسلم لها من دحية فيه مصلحة عامة لكثرة من فى الصحابة مثل دحية وفوقه وعدم مثلها هى فى ذلك السبي فى نفاستها وجمالها

ومن بنى هلالِ أثنتان ميمونةٌ وزينبُ الأختان
ميمونة آخر ذى اللآلِى وهى بنتُ حارث الهلالِى

فلو خصه بها لأمكن تغيير خاطر بعضهم فكان من المصلحة العامة ارتجاعها من دحية واختصاصه صلى الله عليه وسلم بها .

وأشار ناظم قرة الأبصار إلى ذكرها بقوله :

وكم حوت من شرف صفيه لما غدت لأكرم البريه
زوجا وكانت سبيت تخييرا فاختارها لنفسه خير الورى
وعتقها مهراً لها حقا جعل وعام خمسين بها الموت نزل

قال الواقدى ماتت سنة خمسين من الهجرة .

(قال محمد المصطفى) وهذا أصح عندى مما حكاه ابن حبان وجزم به ابن منده من أنها ماتت سنة ست وثلاثين لأن علياً زين العابدين بن الحسين قد ثبت فى الصحيحين سماعه منها وكانت ولادته فى يوم الجمعة فى شهر من سنة ثمان وثلاثين من الهجرة وتوفى سنة أربع وتسعين وقيل سنة اثنتين وتسعين من الهجرة ودفن بالبقيع بالمدينة المنورة كما فى تاريخ ابن خلكان .

* * *

ثم تكلم الناظم على السيدتين ميمونة وزينب فقال :

(زينب) بضمة واحدة للوزن (الأختان) أى لأم وهما ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة رضى الله عنهما والأولى آخر من تزوج من النساء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . و (اللالى) جمع لؤلؤة ووصف أمهات المؤمنين بها لحسنهن وصفاء قلوبهن وعظمتهن واللؤلؤ الخرز الأبيض يستخرج من البحر قال تعالى (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) .

. . . .

نسب السيدة ميمونة رضى الله عنها وزواجه

صلى الله عليه وسلم بها

وقد تكلم الناظم أولا عن ميمونة فقال إنها بنت الحارث الهلالى[1] وهو ابن حزن بن بُجَير بن هُزَم بن رُوَيَّة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس غيلان ابن مضر بن نِزار فتجتمع مع النبى صلى الله عليه وسلم كما سيذكره بعد فى مُضَر .

وهذا هو الذى رأيته فيما وقفت عليه من كتب الانساب والله أعلم بالصواب وأمها على المشهور كما سيأتى فى النظم هند بنت عوف بن زهير بن الحارث ابن كنانة الحميرى من فضليات النساء فى العرب .

تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة رضى الله عنها فى ذى القعدة سنة سبع من الهجرة لما اعتمر عمرة القضاء وكان اسمها برة فسماها صلى الله عليه وسلم ميمونة .

وقد انتشر الاختلاف بين الفقهاء فى حكم تزوج المحرم بسبب اختلاف الروايات فى تزوجه صلى الله عليه وسلم بميمونة هل كان محرما أو حلالاً فذهب أبو حنيفة إلى جواز نكاح المحرم وإنكاحه استنادا إلى مارواه ابن عباس من أنه صلى الله عليه وسلم تزوجها وهو محرم . وذهب مالك والشافعى وأحمد إلى أن المحرم لاينكح « بفتح الياء وكسر الكاف » أى لايتزوج ولا يُنْكح

---

(١) سيأتى الكلام على أختها لأمها السيدة زينب بنت خزيمة .

. . . .

« بضم الياء وكسر الكاف » أى لا يتولى عقد نكاح غيره فإن فعل فالنكاح باطل ومفسوخ وهذا قول سيدنا عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وعبد الله ابن عمر وزيد بن ثابت رضى الله عنهم ، وقالوا إن زواجه صلى الله عليه وسلم بها كان وهو حلال وقد وهم ابن عباس فى روايته (راجع شرح المواهب) .

وقد قيل إن ميمونة وهبت نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال قتادة نزلت ﴿ وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى ﴾ الآية فى ميمونة .

وقالت عمرة بنت عبد الرحمن بل تزوجها صلى الله عليه وسلم على مهر خمسمائة درهم وقال ابن سيد الناس فى سيرته انتهت خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ميمونة وهى على بعير فترامت (أى رمت بنفسها) على الأرض فرحاً برسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت البعير وما عليه لله ولرسوله .

وأخرج ابن سعد بسند صحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الأخوات المؤمنات ميمونة وأم الفضل وأسماء) وقالت فى حقها عائشة رضى الله عنها أما إنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم .

وإلى جمل من خبرها أشار ناظم قرة الأبصار بقوله .

وعام سبع بعد فتح خيبرا	ميمونة نكحها خير الورى
وبعد عوده بها كان البنا	فى سرف وكان ذاك مدفنا
لها وكانت آخر النساء	تزوجا له بلا امتراء
عليه أزكى صلوات ربه	والآل والأزواج ثم صحبه
وعام خمسين وواحد نزل	بها الحمام عندما حان الأجل

. . . .

قوله (و بعد عوده بها) الخ يعنى أنه تزوجها فى أثناء سفره متوجها إلى مكة ثم وصل مكة واعتمر ورجع متوجها إلى المدينة المنورة ونزل بالموضع المسمى بسرِف « بفتح السين المهملة وكسر الراء » فبنى بها فيه ، ثم كان ذلك الموضع بعينه هو موضع موتها ودفنت فيه وهذا الموضع على محجة الطريق فى وسط المرحلة بين مكة ومرِّ الظهران المعروف اليوم من وادى فاطمة وهو أول مرحلة من مكة إلى المدينة المنورة على طريق القوافل من أول الزمان إلى الآن وأما طريق السيارات التى حدثت فى الحجاز فى زماننا هذا فى حكم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود فهو غير هذا الطريق فإنها تمر بجدة ثم تمشى مع ساحل البحر على الطريق المعروف بالدرب السلطانى ، وكانت بسرِف قبة مبنية على قبرها ومسجد بجنبها فلما دخل آل سعود الحجاز عام ثلاثة وأربعين وثلاثمائة وألف هدموا القبه كسائر القباب التى على قبور الصالحين ومنعهم الملك عبد العزيز من هدم المسجد وقد زرت قبرها مرارا وصليت فى المسجد ولله الحمد ثم لم يزل الذين هدموا القبة يراودون الملك على هدم المسجد بدعوى أنه مخالف للشرع حتى هدموه فى عام اثنين وسبعين وثلاثمائة وألف ولله الأمر من قبل ومن بعد .

وقوله (نزل بها الحِمام) بكسر الحاء أى الموت قول عبد العزيز المغربى فى نظمه لمثلثات قطرب .

طير شهير بالحَمام   والموت فى العرف الحِمام

وملجأ جاء الحُمام   إلى فتى منتسب

هذا وإن الميلَ لتهذيب أمالنى هنا عن الترتيب
إذ زينبٌ بنت خزيمة تلى حفصةَ فى الترتيب دون خالَل
ومضر الحمراء ذو المكارم جدُّهما مع النبى الخاتم

ثم قال رحمه الله تعالى :

إن ضرورة تنسيق النظم بجمع الأختين لأم معاً[1] فى الذكر قضت هنا بعدم مراعاة الترتيب فى زواج النبى صلى الله عليه وسلم بزوجاته رضى الله عنهن فذكر هنا زينب بنت خزيمة مع أنها تلى حفصة بنت عمر فى الترتيب وقدم ذكر ميمونة بنت الحارث على زينب المذكورة مع أنها آخر من تزوج بهن من النساء . وحسن ذلك أيضا أنهما تجتمعان معه صلى الله عليه وسلم فى جدٍّ واحد وهو مضر الحمراء بن نزار .

(ذكر ما قيل فى سبب تسمية مضر بمضر الحمراء) قيل إن أباه نزارا لما حضره الموت قسم ماله فى أولاده الأربعة الذين ذكرهم العلامة الشيخ أحمد البدوى الشنقيطى بن محمد بن أبى أحمد المجلسى فى نظمه لعمود النسب الذى شرحه ابن أخيه حماد بن الأمين بن محمد بن أبى أحمد المجلسى كما شرح أيضا نظمه لغزوات النبى صلى الله عليه وسلم قال فى عمود النسب :

ولنِزار الصريحانِ مضر ربيعةٌ إياد أنمار الأغر

فأعطى لمضر القبة الحمراء وما شاكلها فسمى مضر الحمراء ، وأعطى لربيعة الفرَس الدهماء وما شاكلها فسمى ربيعة الفرَس ، وأعطى لأياد الجارية الشمطاء وما شاكلها ، وأعطى لأنمار البدرة وما شاكلها من الدراهم والأرض ، ثم قال لهم إذا اشتبه الأمر عليكم فعليكم بأفعى الجرهمى .

---

(١) لم تجتمعا عند النبى صلى الله عليه وسلم فى عصمته بل تزوج ميمونة بعد وفاة زينب بسنين .

.. ..

ثم إنهم ساروا إلى أفعى فـكلموه فقال لهم أما أنت يامُضَر فلك القبة الحمراء وما شا كلها من الإبل الحمر ونحوها من الذهب وغيره من كل لون أحمر ، وأما أنت ياربيعة فلك الفرس الدهماء ، وما شا كلها من العبيد والسلاح ، وأما أنت يا أياد فلك الجارية الشمطاء وما شا كلها من الغنم ، وأما أنت يا أنمار فلك للبدرة والمجلس وما شابههما من الأرض والدراهم .

ومما ظهر من ذكائهم أنهم لما نزلوا بأفعى أتاهم إنسان يسألهم عن ضالة بعير فقال له أحدهم بعيرك شرود قال نعم وقال آخر بعيرك أبتر قال نعم وقال آخر بعيرك أزور قال نعم وقال آخر بعيرك أعور قال نعم قالوا مارأيناه إلا أثره فأتى الرجل إلى أفعى وقال له ضيوفك هؤلاء أكلوا بعيرى فأنصفنى منهم فأتاهم أفعى ، فسألهم فقال الأول رأيته لا يرعى إلا الأنجاد فعلمت أنه شرود ، وقال الثانى رأيته يضع بعره مجتمعا فعلمت أنه لو كان له ذنَب لفرّقه به ، وقال الثالث رأيته إحدى يديه أسيخ من الأخرى فى الأرض فعلمت أنه أزور ، وقال الرابع رأيته يأكل جانب الشجرة و يترك جانبها فعلمت أنه أعور فصدقهم أفعى .

ومن ذكائهم أيضاً أنهم لما نزلوا بأفعى دعا صاحب الشراب يعنى صانع الخمر وقال له اختر لى من الشراب ما أسقى به هؤلاء فإنهم كرام علىّ ، ودعا صاحب الغنم وقال اختر لى سخلة سمينة جدا واستـكمنَ لهم شخصا يسمع له مايقولون ومما حفظ عنهم أن أحدهم قال نعم الشراب لولا أن كرمته نبتت على عظام ميت وقال آخر نعم اللحم لولا أن شاته غذيت بلبن الـكلاب وقال آخر نعم الطعام لولا أنه عجنته حائض وقال آخر نعم الملك لوكان لأبيه فدعا أفعى صاحب

. . . .

الشراب فسأله فقال أمرتنى بخير الشراب فإذا خيره من كرمة نبتت على قبر أبيك وقال صاحب الغنم أسمن سخلة عندى ماتت أمها وكانت ترضع كلبة .

وأقرت صاحبة العجين أنها حائض ثم خلا بأمه وقال لها أصدقينى ولابد فقالت يابنى رأيت الملك لايولد له فدعوت إنسانا ومكنته من نفسى مخافة أن ينقطع عنى الملك ، فأتاهم أفعى وقال لهم ارتحلوا عنى فانكم شياطين انتهى كلام حماد فى شرحه لعمود النسب .

وفى حفظى أن أفعى سألهم عن أدلة مقالاتهم فقالوا له نخبرك على شرط أن لاتسألنا بعد ذلك فقبل فقال الأول أصل هذا الشراب يورث النشاط والسرور وقد أورثنا الكسلَ والحزن فعلمت أن شجرته نبتت على ميت وقال الثانى عرفت اللحم بكون شحمه داخلا بين اللحم والعظم وكذلك لحم الكلاب وقال الثالث عجن الخبز غير متقن وذلك دليل على نقصان قوة المرأة بسبب جريان الدم منها وقال الرابع عرفت أن الملك ليس لأبيه بكونه أرسل الضيافة إلينا ولم يأتنا انتهى .

ثم رأيت هذه القصة فى الجزء الثانى من تاريخ ابن الأثير وفيها ألفاظ متخالفة مع بعض ماذكر اختلافا لفظيا فمن ارادها فليراجعه .

فائدة

قال الدميرى فى حياة الحيوان فى ترجمة السخلة (سئل) سحنون عن خروف أرضعته خنزيرة فقال لابأس بأكله وقال الطبرى العلماء مجمعون على أن الجدى إذا اغتذى بلبن كلبة أو خنزيرة لا يكون حراما ولا خلاف أن ألبان الخنازير نجسه كالعذرة اه .

. . . .

نسب أم المؤمنين زينب بنت خزيمة رضى الله عنها

ثم نرجع إلى التعريف بأم المؤمنين زينب بنت خزيمة ومناقبها فهى بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمر بن عبدمناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس غيلان بن مضر فهى تجتمع مع النبى صلى الله عليه وسلم فى جده مضر ومع أختها لأمها ميمونة بنت الحارث فى هلال ابن عامر .

وكانت زينب رضى الله عنها تدعى أم المساكين فى الجاهلية لأنها كانت تطعمهم وتتصدق عليهم وكانت تحت عبد الله بن جحش رضى الله عنه فاستشهد عنها يوم أحد فلما انقضت عدتها تزوجها سيد البشر صلى الله عليه وسلم ولم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة على المشهور وتوفيت فى حياته صلى الله عليه وسلم ، قال ناظم قرة الأبصار .

وزينب أم المساكين قتل   بأحد عنها ابن جحش فقبل
تزوجت خير نبى وثوت   شهرين أو ثلاثة ثم تَوَت
ولم يمت حياتَه من النسا   إلا خديجة وذى فاقتبسا

قوله ثوت الأولى بالثاء المثلثة قبل الواو أى مكثت وقوله ثم توت بتاءين مثناتين من فوق أى ماتت .

ثم بيّن الناظم أصهار هند أم السيدتين ميمونة وزينب بنت خزيمة ــ فقال.

* * *

أصهارُ هندِ الفضلاَ أهلِ الـكرمْ ... جعلتُ نفسى من حِماهُم فى حَرَمْ
أمهما فى الفخر لا تُبَارَى ... خيرُ عجوزٍ فى الورَى أصهارا

هند ام ميمونة وزينب وأصهارها

(أمهما) أى أم ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة (الفخر) ذكر الإنسان شيئا من خصائصه المحمودة ليظهر فضله على غيره (المباراة) المجاراة والمسابقة (الورى) الخلق (الأصهار) أزواج البنات (الفضلا) مقصورا للوزن وصف للأصهار وكذلك أهل الـكرم . وجملة (جعلت نفسى) إلخ دعاء يرجو به من الله الـكريم أن يجعله فى حرم من حمى النبى صلى الله عليه وسلم . وأنا أرجو ذلك من فضله تعالى و(الحرم) محل الأرض قال تعالى ﴿ حَرَماً آمنا ﴾ .

القول فى الحمى جاهلية وإسلاما

و (الحمى) أرض يحمى الملك ويمنع نباتها من أن يُرعَى فيخصها بمواشيه ومواشى من شاء من خواصه ومنه حمى كليب التغلبى المشهور الذى قتل بسببه السَّراب ناقة البَسُوس خالة جسَّاس بن مُرة الشيبانى وعليها قتل جسَّاسٌ كُلَيباً وبذلك قامت حرب البَسوس المشهورة فى بنى وائل واستمرت بين بنى بكر وبنى تغلب أربعين سنة .

وأصل الحمى عند العرب أن الرئيس منهم كان إذا نزل منزلا مخصبا اسْتَعْوَى كلباً على مكان عال فإلى حيث انتهى صوته حماه من كل جانب فلا يرعى فيه غير مواشيه وترعى مواشيه هو مع مواشى غيره فيما سوى الحمى .

ولما جاء الإسلام أبطل عادة الجاهلية . وقال النبى صلى الله عليه وسلم

.. ..

« لا حمى إلا لله ولرسوله » رواه البخارى ، وأحمد ، وأبو داود ، والنسائى ، والحاكم .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ألاَ وإن لكل ملِك حمى ألا وإن حمى الله محارمه » .

وأخرج أحمد وابن حبان أن النبى صلى الله عليه وسلم حمى النَّقيع للخيل خيل المسلمين .

وصية عمر لمولاه فى الحمى

وروى البخارى فى صحيحه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حمى « الشَّرَف والرَّبَذَة » واستعمل مولى له يدعى هُنَيًّا على الحمى فقال ياهُنَيُّ أضمم جناحك عن المسلمين واتَّقِ دعوة المظلوم فإن دعوة المظلوم مستجابة وأدخِل رب الصُّرَيْمَة وربَّ الغُنيمة وَإيَّاىَ وَنَعَم ابن عوف وَنَعَم ابن عفان فإنهما إن تهلك ماشيتهما يرجعان إلى نخل وزرع ، وربُّ الصُّرَيْمَة وَربُّ الغُنَيمة إن تهلك ماشيته يأتينى بِبَنِيهِ يقول يا أمير المؤمنين أفتارِكُهم أنا لا أبالك ، فالماء والكلأ أيسر علىَّ من الذهب والورق وأيمُ الله إنهم لَيرون أنى ظلمتهم . إنها لَبلادهم قاتلوا عليها فى الجاهلية وأسلموا عليها فى الإسلام . والذى نفسى بيده لولا المال الذى أحمل عليه فى سبيل الله ماحميتُ عليهم من بلادهم شيئاً . اهـ .

(والنقيع) بالنون موضع على مسافة عشرين فرسخاً من المدينة المنورة وقدره ميل فى ثمانية أميال ذكره ابن وهب فى موطئه (والشرَف) قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ــ بالشين المعجمة والراء بعدها فاء فى المشهور وفى موطأ

.. ..

ابن وهب بالسين المهملة والراء (وَالرَّبَذَة) بفتحات على الراء والباء الموحدة والذال المعجمة موضعان (وقوله هُنَيًّا) بضم الهاء وفتح النون وتشديد التحتية (وقوله الصُّرَيْمَة) تصغير صِرْمة بكسر أوله وهى مابين العشرين إلى الثلاثين أو من العشرة إلى الأربعين من الإبل .

وهذا الحمى الذى حماه سيدنا عمر هو الذى يسمى الْحُنَيْكِيَة « بضم الحاء المهملة وفتح النون » وهو اليوم تحت حكم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ويليه عامله على المدينة المنورة وليس العمال فى هذا الزمن كالعمال فى عهد سيدنا عمر ولكل زمن دولة ورجال والأمر لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل صدق الله العظيم ﴿ وماظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ ﴿ وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون ﴾ ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم و يعفو عن كثير ﴾ وصدق نبينا صلى الله عليه وسلم القائل (أعمالكم عُمَّالكم كما تكونون يُوَلَّى عليكم) اللهم إنك عفوٌّ تحب العفو فاعف عنا .

وهذا الحمى هو الذى قال فيه فتى بنى عامر لما رأى البرق على الحمى وهو إذ ذاك مريض بالمدينة المنورة .

أَلا ياسنى بَرق على قُلَلِ الحمى ... لَهِنَّك من برق علىَّ كريم

لمعت اقتذاء[1] الطير والقوم هُجَّعٌ ... فهيَّجت أسقاماً وأنت سليم

فبتُّ بحدِّ المرفقين[2] أشيمه[3] ... كأنى لبرق بالسِّتار[4] حميم

---

(١) قوله اقتذاء الطير أى قدر ما يغمض عينه ويفتحها .

(٢) أى بات معتمداً على حد مرفقيه . (٣) شيم البرق النظر إليه .

(٤) الستار بكسر السين جبل بالحمى وهو بالتاء المثناة من فوق . اهـ .

.. ..

فهل من معير طرف عين خلية فإنسانُ طرف العامرى كليم
رَمَى قلبَه البرقُ المُلاَلِي [١] رمية بذكر الحمى وَهْنًا فبات يهيم

قال جلال الدين السيوطى فى شواهد المغنى فى شواهد اللام ﴿ لَهِنَّكَ من برق علىَّ كريم ﴾ .

قال ثعلب فى أماليه ووكيع فى الغرر مَعًا حدثنى أبو سعيد عبد الله بن شبيب حدثنى هارون بن أبى بكر أخو الزبير حدثنى محمد بن إبراهيم الليثى حدثنى محمد بن معن الغفارى قال أَقْحَمَت [٢] السنةُ المدينةَ ناسًا من الأعراب فَحَلّ المَذَاد منهم صرم من بنى كلاب فأبرقوا ليلة فى النجد فغدوت عليهم فإذا غلام منهم قد عاد جلداً وعظما ضَيْعة ومرضاً وصماتة حب وإذا هو رافع عقيرته بأبيات قالها من الليل (ألا ياسنى برق) الأبياتَ المتقدمة فقلت لهُ فى دُونِ مَا بِكَ ما يُفحِم عن الشعر فقال : صدقت ولكن البرق انطَقَنِى قال : ثم والله مالبث يومه حتى مات مايتوهم عليه غير الوحدة وفى رواية ما يتوهم عليه غير الحب . اهـ . (لحلّ المذاد) بفتح الميم والذال المعجمة فألف فدال مهملة أُطُمٌ لبنى حرام من بنى سلِمة بكسر اللام غربى مساجد الفتح بقرب جبل سلع بالمدينة المنورة قال كعب بن مالك يوم الخندق .

من سَرَّه ضرب يُرَعبل بعضُه بعضاً كمعمعة الأَبْاء المحرق
فليأت مأسدة تسل سيوفها بين المذاد و بين جزع الخندق
دربوا بضرب المعلمين وأسلموا مهجات أنفسهم لرب المشرق

---

(١) الملالى بضم الميم نسبة إلى الملال موضع بالحمى .
(٢) السنة : المجاعة فاعل أقحمت والمدينة وناساً مفعولا لاقحمت .

.. ..

يعنى جيش الأنصار بالمدينة المنورة (وقوله فى دُونِ مَا بِك) إلخ يعنى المرض الذى أقل من مرضك يمنع من الشعر وقوله (يُرغبل بعضه بعضاً) يقطع بعضه بعضاً (والأباء) بفتح الهمزة القصب يعنى كصوت القصب فى النار .

وقد عقد الشريف السمهودى فى كتابه « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » صلى الله عليه وسلم فصلين فى ذكر الأحماء الفصل الأول فى حمى النبى صلى الله عليه وسلم ، والفصل الثانى فيما حماه الخلفاء بعده وما كان قبلهم فى الجاهلية فالذى حماه النبى صلى الله عليه وسلم هو النقيع بالنون ثم حمى عمر الشرف والربذة وهما متقاربان من بلاد نجد وهما قريبان من حمى ضَرِية المعروف قديماً فى الجاهلية وهو حمى كليب بن وائل وقبره فيه معروف ، وقد أكثر الشعراء من ذكر حمى ضرية ويمكن أن يكون هو الذى قصده العامرى فى أبياته المتقدمة .

وذكر السمهودى خامساً وهو حمى (فيد) بفاء مرأسة ومثناة تحتانية بنجد أيضاً .

فالأحماء الأربعة غير النقيع متجاورة وقد أوضحها السمهودى بما يطول ذكره فمن أراده فليراجع وفاء الوفا .

(عود إلى هند وأصهارها) فنقول .

نَبِيُّنَا حَمْزَةُ عَبَّاسُ عَلِي   أَخُوهُ جَعْفَرٌ أَبُو بَكْرٍ الْعَلِي
مُجَدَّعٌ عُبَيْدَةُ الْمُطَّلِبِي   وَصِنْوُهُ الطُّفَيْلُ عَالِي الرُّتَبِ
وَهِيَ أَيْضًا جَدَّةُ الْمِقْدَامِ   سَيْفِ الْإِلَهِ خَالِدِ الْهُمَامِ

أصهار هند بنت عوف أم زينب بنت خزيمة

وميمونة بنت الحارث

(فأولهم) سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد صلى الله عليه وسلم صاهرها باثنتين من بناتهما الأولى زينب بنت خزيمة ثم بعد موتها تزوج أختها لأمها ميمونة بنت الحارث .

(والثانى) سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب عَمُّ نبينا صلى الله عليه وسلم صاهرها ببنتها سلمى بنت عُمَيْسٍ .

(والثالث) سيدنا العباس بن عبد المطلب صاهرها ببنتها لُبَابة الكبرى بنت الحارث المكناة بأم الفضل التى قيل أنها أول امرأة أسلمت بعد سيدتنا خديجة وكان نبينا صلى الله عليه وسلم يزورها ويقيل عندها وروت عنه أحاديث كثيرة وكانت من المنجبات أى تلد النجباء ولدت لسيدنا العباس ستة لم تلد امرأة مثلهم وهم الفضل وبه كُنيت وكنى العباس به أيضاً وعبد الله الفقيه حبر الأمة أحد المكثرين من رواية الحديث المشار لهم بقول سيدى عبد الله ابن الحاج إبراهيم :

والمكثرون بحرُهم وأنس   عائشة وجابر المقـــدس
صاحب دَوْسٍ وكذا ابن عمرا   ربِّ قِنِي بالمكثرين الضَّرَرَا

وقيل بزيادة أبى سعيد الخدرى رضى الله عنهم أجمعين .

قال جلال الدين السيوطى فى ألفيته :

.. ..

والمكثرون فى رواية الخبر أبو هريرة يليه ابن عمر
وأنس والبحر كالخدرى وجابر وزوجة النبى
صلى الله عليه وسلم وبحرهم هو عبد الله بن عباس .

وولدت أيضاً عبيد الله بن العباس مصغراً الفقيه ، ومعبداً ، وقثما الذى حضر غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعبد الرحمن ، وأختهم أم حبيبة سابعة لهم ، وفى ام الفضل هذه وزوجها العباس وأولادها رضى الله عنهم .

قال عبد الله بن يزيد الهلالى :

ماولدت نجيبة من فحل بجبَل نعلمُها وسهــــلِ
كستة من بطن أم الفضل أكرم بها من كهلة وكهل
عم النبى المصطفى ذى الفضل وخاتم الرسل وخير الرسل

(ورابع) أصهار هند سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

(وخامسهم) سيدنا جعفر أخوه .

(وسادسهم) سيدنا أبو بكر الصديق فهؤلاء الثلاثة صاهروها بابنتها أسماء بنت عميس فأولهم جعفر تزوجها وهاجرت معه إلى الحبشة فولدت له هناك ثلاثة أولاد عبد الله ومحمداً وعوناً ، وقدمت معه المدينة فلما استشهد فى غزوة مؤتة وتمت عدتها منه تزوجها أبو بكر رضى الله عنه فولدت له محمداً ، وكانت ولادتها له بذى الحليفة يوم خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع كما ثبت فى صحيح مسلم من حديث جابر وهى ذاهبة إلى الحج فاستفتى لها الصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم عما تصنع فأمرها أن تغتسل وتحرم بغير صلاة ركعتى الإحرام وبَيّنَ صلى الله عليه وسلم أن النفساء والحائض

.. ..

تفعل جميع أعمال الحج إلا الدخول فى المسجد والطواف والصلاة فلا تجوز لها ولا تصح منها إلا بعد طهرها ، وكان ظهور هذا الحكم من جملة بركات آل أبى بكر على جميع المسلمين لأن حكم الحائض ظهر بسبب عائشة وحكم النفساء ظهر بسبب أسماء زوجة أبى بكر .

وأخرج ابن سعد من عدة أوجه أن أبا بكر الصديق أوصى عند موته أن تغسله زوجته أسماء فغسلته وهى صائمة ثم سألت من حضرها من الصحابة هل غُسْلها لزوجها يوجب عليها الغسل ويفسد صيامها فأجابوها بأنه لا يفسد صيامها ولا يوجب عليها الغسل فاستمرت على صيام يومها .

ثم لما تمت عدتها من أبى بكر تزوجها على كرم الله وجهه فولدت له يحيى إتفاقاً وعوناً على خلاف .

ومناقب أسماء هذه كثيرة منشورة فى الكتب .

ومن حسن أدبها وفرط ذكائها ما أخرجه ابن السكن بسند صحيح عن الشعبى قال تزوج على بن أبى طالب أسماء بنت عميس فتفاخر ابناها عبد الله ابن جعفر ومحمد بن أبى بكر فقال كل واحد منهما أنا أكرم منك وأبى خير من أبيك فقال لها على اقضى بينهما فقالت ماراًيت شاباً خيراً من جعفر ولا كهلا خيراً من أبى بكر فقال لها على فما أبقيت لنا . ا هـ . من الإصابة .

(وسابع) أصهار هند المجدّع فى الله وهو عبد الله بن جحش .

قال أبو عمر بن البر عن سعد بن أبى وقاص أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد ألا تأتى فندعو الله تعالى نخلونا فى ناحية فدعا سعد وقال رب إذا لقيت العدو غدا فلقنى رجلا شديداً بأسه شديداً حرْده أقاتله فيك ثم ارزقنى

.. ..

الظفر به حتى أقتله وآخذ سلبه فأمّن عبد الله بن جحش ثم دعا عبد الله فقال اللهم ارزقنى غداً رجلا شديدا بأسه شديدا حرده أقاتله فيك ويقاتلنى فيقتلنى ثم يأخذنى ويجدع أنفى وأذنى فيك فإذا لقيتك قلت لى يا عبد الله فيم جدع أنفك فأقول فيك وفى رسولك فتقول صدقت قال سعد فكانت دعوة عبد الله خيرا من دعوتى لقد رأيته آخر النهار وأنفه وأذنه معلقان جميعا فى خيط اﻫ .

وذكر الزبير فى الموفقيات أن عبد الله بن جحش انقطع سيفه يوم أحد فأعطاه النبى صلى الله عليه وسلم عرجون نخلة فصار فى يده سيفاً يقال إن قائمته منه وكان يسمى العرجون ولم يزل يتناول حتى بيع من بغاء التركى بمائتى دينار اﻫ من الاستيعاب .

وكانت مصاهرته لهند بزينب بنت خزيمة كما تقدم .

(وقيل ثامن) أصهار هند الطفيل بن الحارث بن المطلب (وتاسعهم) أخوه عبيدة بن الحارث قال قتادة وابن الكلبى وأبو الحسن على بن محمد الجرجانى النسابة كانت زينب بنت خزيمة عند الطفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ثم خلف عليها أخوه عبيدة بن الحارث اﻫ .

(استدراك) قال محمد المصطفى ومن أصهار هند المذكورة شداد بن أسامة بن الهاد الليثى لأنه تزوج سلمى بنت عميس بعد سيدنا حمزة رضى الله عنه وقد أعرضت عن ذكر من لم أتحقق صحبته من أصهارها .

وقول الناظم (وهى أيضاً جدة المقدام) إلخ يعنى أن هندا المذكورة جدة سيف الله خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم لأن خالدا أمه لبابة الصغرى شقيقة لبابة الكبرى أم أولاد العباس وشقيقة أم المؤمنين ميمونة رضى الله عن الجميع .

وهى هندٌ بنتُ عوفِ الحِميرى على الشهير عنـد أهل السِّيَرِ
وقيل إنها من آل أسـدِ لاشَمَّتَ الله بناذا حَسَـدِ

صحبُ من آبائهنَّ المصطفى عمرُ والصِّـديقُ خير الخلفا
والحارث القَرْمُ أبُو جُويْرِيَهْ ونجل حربٍ الهمامُ فاذْرِيَهْ

وفى ذكر الناظم لخالد هنا نكتة لطيفة وهى أنه لم يستحسن أن يذكر فى هذا المقام الشريف أباه الوليد الذى هو صهرها لأنه مات كافرا نعوذ بالله وقد ذمه الله تعالى فى كتابه بقوله ﴿ ولا تُطِـعْ كُلَّ حلاَّف مَهِين همّازٍ مشّاء بنميم منّاع للخير مُعتَدٍ أثيم عُتُلٍّ بعد ذلك زَنِيم ﴾ الآيات فلا يحسن ذكره مع ذكر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام وأما هى فجدة كثير من أهل الفضل غيره كأبناء العباس وغيرهم ممن تقدم ذكرهم .

نسب هند أم ميمونة وزينب بنت خزيمة

المشهور عند أهل السير أن اسم أمهما هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن كنانة الحميرية ، وقيل أنها من بنى أسد . وذكر ابن حجر فى الإصابة أن اسمها خولة وهو خلاف ما عليه الجمهور .

وقوله (لا شمت الله بنا) الخ يطلب من الله الحفظ من شماتة الأعداء والحساد ، وشماتة الأعداء هى فرحهم بما يصيب عدوهم من المكاره .

من كان صحابيا من آباء أمهات المؤمنين

ثم ذكر الناظم من صحب النبى صلى الله عليه وسلم من آباء أمهات المؤمنين الطاهرات فقال إنهم أربعة وهم سيدنا أبو بكر الصديق وسيدنا عمر بن الخطاب

قد انتهىَ ما رُمتُــه مهذَّباَ   مثلُ الوَذَئِلِ تشوبُ الذَّهبَا
أرجو به فى درجاتِ الآخِرهْ   مزيَّةً على المزايا فاخِــرَهْ
والفوزَ فى الدارين بالأمانِ   ونيلَ ما أبْـغِى من الأمانى

والحمــد لله أتمَّـــهُ على   إتمــامه بعون ذى الطَّول عَلاَ
مصلّيا مسلِّما مالاَ يُعَــدْ   على المهَيْمِنِ خُلاصةِ مَعَدْ

وسيدنا أبو سفيان بن حرب وسيدنا الحارث بن حزن الهلالى وتقدم نسب كل عند ذكر ابنته رضى الله عنهم وعنهن أجمعين .

ثم بين الناظم انتهاء منظومته المباركة فقال :

قد انتهى نظم ما أردت نظمه من سيرة أمهات المؤمنين رضى الله عنهن مهذَّبا محسَّنا مثل الوذائل وهى قطع الفضة تشوب الذهب وتخالطه راجياً به من الله تعالى القبول والمثوبة العظمى فى الآخرة والفوز فى الدارين بالأمان والسلامة ونيل ما أبغيه من الأمانى والمطالب .

ثم حمد الناظم ربه تعالى أتم الحمد وأكمله على إنعامه عليه بالتوفيق لإتمام هذا النظم البديع مصليا مسلما على الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه صلاة وسلاما دائمين بلا انتهاء .

فقوله (أتمه) أى أتم الحمد (إتمامه) أى إتمام هذا النظم (ذى الطول) أى القدرة وهو من أسمائه تعالى (علا) سبحانه من العلو الذى هو صفة له تعالى (المهيمن) من أسمائه صلى الله عليه وسلم ومعناه الأمين الحافظ الرقيب على أمته وقد سماه الله به كما سماه رءوفا رحيما فى كتابه ، وأما اسمه تعالى المهيمن فمعناه كما قال ابن عباس الشهيد على عباده بأعمالهم الذى لا يغيب عنه شىء أو القائم على خلقه بقدرته أو الرقيب الحفيظ على كل شىء . وهو مشتق من

وآلِه وصحبِـــه بلا انتها ما برَّ عبـــدٌ بامتثالٍ وانتِهاَ
فنال من مولاه كل ما اشتهىَ مما له رجاؤه قـــد انتهىَ

الأمن فيكون قياسه مؤيمن بالهمزة ثم قلبت الهمزة هاء (خلاصة معد) ابن عدنان صفة له صلى الله عليه وسلم (بلا انتها) أى بلا انقطاع (بر) ضد فجر والبر فعل الخير كما أن الفجور فعل الشر . (الامتثال) الخضوع لأمر الله تعالى (الانتهاء) اجتناب ما نهى عنه ولا يخفى ما فيه من براعة الختم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأزواجه الطاهرات وصحبه وسلم .

(خاتمة)

قد كنت جمعت هذا الشرح عام ثلاثة وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية بالمدينة المنورة ، ثم زدت فيه زيادات مع تغيير بعض العبارات فى عام ستين وثلاثمائة وألف بالمدينة المنورة أيضا ، ثم فى عام ستة وستين وثلاثمائة وألف بمكة المكرمة زدته أبحاثا مفيدة وفوائد عديدة ، ومن جملة الزيادات هذه الخاتمة كلها بعد أن اطلعت على كتاب (السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين) تأليف الإمام محب الدين أحمد بن عبد الله الطبرى المتوفى سنة ٦٩٤ أربع وتسعين بتقديم التاء على السين وستمائة هجرية وانتقيت منه ما فى هذه الخاتمة .

فضل أمهات المؤمنين رضى الله عنهن

ومما جاء فيه أن ابن عباس رضى الله عنهما حين قيل له بعد صلاة الصبح ماتت فلانة لبعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم سجد لله فقيل له أتسجد هذه الساعة فقال : أليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم آية فاسجدوا » فأى آية أعظم من ذهاب أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهن أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب .

محادثاته وسمره مع زوجاته صلى الله عليه وسلم

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث نساءه حديث النَّفَر الذين خطبوا المرأة وجعلوا صفاتهم لأحدهم يصف لها كل واحد منهم لتأخذ منهم من أحبَّت فتتزوجه بعد أن سمعت صفته فقال لها :

خُذِى منى أخى ذا البَجَل إذا دُعِىَ القومُ غفَل ، وإذا سعى القومُ نَسَل ، وإذا عمِل القوم اتَّكَل ، وإذا قُرِّب الزاد أكَل ، قريبٌ من نضِيج ومن نِيّء بعيدٌ فَلَحْياً لصاحبنا لَحْياً فقالت المرأة لاحاجة لى فى هذا[1] .

فقال: خَذِى منى أخى ذا البَجَلة يخصِف نعلى ونعله ويحمل ثَقَلى وثَقَله ويرْحَل رحلى ورحله ويترك نَبْلى ونَبْله[2] وإذ حلَّ يومه قدِمتُ قبله فقالت المرأة هذا جارك لاحاجة لى به .

---

(١) البجل بالتحريك الحسب والكفاية ، ونسل : يقال نسل الصوف إذا سقط وهو كناية عن قعوده عن السعى مع قومه المحاربين ، وقريب من نضيج أى ما نضج طبخه ، بعيد من غير نضيج وهو كناية عن أنه بألف المنزل ولا يسافر فهو متمهل فى أموره لا يأكل إلا النضيج ولا يحتاج إلى أكل النيء الذى يأكله أهل الأسفار والمغازى ، ولحيا لصاحبنا أى لوما له وعذلا وهو منصوب على المصدرية كرعياً .

تذمه بقصر الهمة والقعود عن المكارم ، والرضى بأن يكون كلا على غيره فلا يزال يقول حسبي حسبي وأنه حلس داره لا يألف السفر والاغتراب والرحلة والغزو ولذلك أعرضت عنه المرأة .

(٢) ذا البجله : يقال ذو بجلة بالتحريك إذا كان ذا حسن ورواء وقيل هو الذى يبجله الناس ويعظمونه فهو وصف مدح بخلاف ذى البجل فانه وصف ذم . وخصف النعل خرزه ، والثقل بالتحريك متاع المسافر ، والرحل بفتح فسكون مركب البعير ، ورحل البعير كمنع حط عليه الرحل . والنبل : السهم .

. . . .

قال خُذى منى أخى ذا الأسد جوّابُ ليل سرمد ، ركّابُ بحر مُزبد أقبَلُ مَن رأينا لِلِص مُلحِد ، وأوْرَى من رأينا لزَنْد يزند فقالت هذا اللص لا حاجة لى به(١) .

قال خذى منى أخى ذا النمِر حَيِيٌّ خَفِرٌ ، شجاع ظَفِرٌ وهو خير من ذاك إذا شَكِر قالت هذا شَكِس لاحاجة لى به(٢) .

قال خذى منى أخى ذا الحُممَة يهب المائة البَكرَة السَّنِمة والمائة البقرة العَممَة والمائة الشاة الزَّنِمَة وإذا أتت ليلة على عاد مظلمة رتَب رتوب الكعب ولأم شَزْبة وقال اكفونى الميمنة أكفكم المشأمة وليست فيه لَعْثَمة إلا أنه ابن أمة قالت أخذته . هذا عيب يسير(٣) .

قال لها كما أنت قد بقى خُذى منى أخى ذا العِفَاق صفّاقٌ آفاق يُعمِلُ الناقة

---

(١) السرمد: الطويل من الليالى. بحر مزبد : كثير الزبد . واص ملحد: عادله عن الطريق السوى . والزند : العود الذى يقدح به النار وأورى الزند أخرج ناره بالقدح .

(٢) حيي : كثير الحياء . خفر : شديد الحياء . ظفر : بفتح فكسر يقال رجل ظفر أى لايحاول أمرا الاظفر به وفاز . وشكر الرجل كفرح : سخا أو غزر عطاؤه بعد بخله . الشكس : البخيل .

(٣) الحممة : الفحم يصفه بالسواد ، البكرة : الفتية من الابل السنمه : ذات السنام العظيم لسمنها ، والعممة بالعين المهملة والتحريك العظيمة الخلق . الزنمة : ذات الزنمة وهى شيء يقطع من الاذن فيترك معلقا يفعل ذلك بأحسنها. رتب رتوب الكعب أى انتصب كما ينتصب الكعب إذا رميته والكعب هو انبوب ما بين كل عقدتين من القصب والقنا والشزبة بسكون الزاى القوس التى ليست بجديد ولاخلق يصفه بالشهامة والشجاعة وحدة النفس وشدة البأس .

. . . .

والساق(١) عليه من الله إثم لا يطاق قالت قد أخذته .

قال كما أنت قد بقي خُذى منى أخى حربنا إذا غزونا وآخرُنا إذا استجبنا وعصمة أبنائنا إذا سَنَوْنَا وفاصل خُطة أعيت علينا(٢) قالت قد أخذته .

قال كما أنت قد بقيتُ أنا قالت فحدثنى عن نفسك قال أنا لقمان بن عاد ، إذا اضطجعت لا أجْلَنْظَى ولا تملأُ رأتى جنبى إن أرى مطمعى فحِدَأة تلْمَع وإلاَّ أرى مطمعى فوقاع يصلع(٣) فقالت لاحاجة لى بك أنت سارق ، قد أخذت حربنا .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قال خُذى منى كذا وكذا يقول بعض نسائه وفى رواية تقول أم حبيبة أخذت هذا يا رسول الله فيقول رُوَيْدَك فإنى لم أفرغ من حديثهم وفى رواية لا تعجلى قد بقى – ذكره الملا فى سيرته وغيره اهـ .

ذكر مايخص السيدة خديجة رضى الله عنها

قال المحب الطبرى نقلا عن طبقات ابن سعد : من مناقب خديجة رضى الله عنها . أخبرنا يحيى بن الفرات حدثنا سعيد بن خيثمة الهلالى عن أسد بن عبيدة

---

(١) العفاق بكسر العين المهملة : السرعة فى الذهاب والصفاق بتشديد أوله الكثير الاسفار والتصرف فى التجارات آفاق جمع أفق الناحية . والساق كناية عن القدم .

(٢) (استجبنا) استسلمنا للعدو . سنونا اصابنا الجدب . فاصل خطة الخ أى إذا نزل بنا أمر مشكل وخطب عظيم فصله برأيه .

(٣) اجلنظى استلقى على جنبه وانبسط أو استلقى ورفع رجليه فليس نومى نوم الكسلان ولكنى أنام مستوفزا ولا تملأ رأتى جنبى كناية عن أنه ليس بجبان (تلمع) يقال لمع الطائر بجناحيه خفق وطار . أى انقض عليه واختطفه بسرعة ، ووقاع : كثير اللصوق بالأرض ، يصلع يضع يده مستوية مبسوطة على الأرض كناية عن السكون والثبوت .

. . . . ، .

[في الإصابة ابن وداعة] البجلي عن ابن يحيى بن عفيف عن جده عفيف الكندي قال جئت في الجاهلية إلى مكة وأنا أريد أن أبتاع لأهلي من ثيابها وعطرها فنزلت على العباس بن عبد المطلب قال فأنا عنده وأنا أنظر إلى الكعبة وقد حلقت الشمس فارتفعت إذ أقبل شاب حتى دنا من الكعبة فرفع رأسه إلى السماء فنظر ثم استقبل الكعبة قائماً مستقبلها إذ جاء غلام حتى قام عن يمينه ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما ثم ركع الشاب فركع الغلام وركعت المرأة ثم رفع الشاب رأسه ورفع الغلام رأسه ورفعت المرأة رأسها ثم خرّ الشاب ساجداً وخرّ الغلام ساجدا وخرّت المرأة ساجدة قال فقلت يا عباس إني أرى أمراً عظيما قال قال العباس أمر عظيم ؟؟ قال تدري مَن هذا الشاب قلت لا أدري قال هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي ، هل تدري من هذا الغلام قلت لا أدري قال هذا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن أخي ، هل تدري من هذه المرأة قلت لا أدري قال هذه خديجة بنت خويلد ابن أسد زوجة محمد ابن أخي هذا الذي ترى ، حدّثنا أن ربه رب السموات والأرض أمره بهذا الدين الذي بعث عليه ولا والله ما علمت على ظهر الأرض كلها على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة قال عفيف فتمنيت بعدُ أن كنت رابعهم انتهى.

وقال المحب الطبري وعن ابن شهاب الزهري قال لما استوى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ أشدّه وليس له كثير مال استأجرته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها إلى سوق حُباشة بضم الحاء وهي سوق بتهامة واستأجرت معه رجلا آخر من قريش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عنها لما رجعنا من سوق حباشة قلت لصاحبي انطلق بنا نتحدث عند خديجة قال فجئناها فبينما نحن عندها دخلت عليها مستنسبة من مولَّدات قريش قالت أمحمد هذا والذي

.. ..

يُحلف به إن جاء الخاطب قال قلت كلا فلما خرجت أنا وصاحبي قالت ولم تعتذر من خِطبة خديجة فوالله ما من قرشية إلا تراك كفؤا قال فرجعت أنا وصاحبي إليها مرة أخرى فدخلت تلك المستنسبة فقالت أحمد هو والذى يُحلف به إن جاء الخاطب قال فقلت على حياء أجَل قال فلم تقصر ولاء أختها إلخ .

وقال فى (ذكر منزلتها فى الجنة) عن يونس بن أبى إسحاق عن أبيه قال قالت فاطمة عليها السلام والله يارسول الله لا ينفعنى عيشى حتى تسأل جبريل عن أمى فسأله فقال هى بين مريم وسارة فى الجنة أخرجه ابن السنى اهـ .

وقال فى (ذكرانها أفضل نساء أهل الجنة) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة خطوط وقال أتدرون ماهذا قالوا الله ورسوله أعلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون » أخرجه أحمد وأبو حاتم .

(قال محمد المصطفى) وأخرجه الجماعة بغير هذا اللفظ .

وأخرج السهيلى فى الجزء الأول من الروض الأنف أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لخديجة رضى الله عنها (إن الله أعلمنى أنه سيزوجنى معك فى الجنة مريم ابنة عمران وكلثوم أخت موسى وآسية امرأة فرعون) فقالت آلله أعلمك بهذا قال نعم فقالت بالرفاء والبنين ، وذكر أيضا فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم أطعم خديجة رضى الله عنها من عنب الجنة اهـ

ذكر ما يخص السيدة عائشة رضى الله عنها

وقال عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أتانى

.. ..

جبريل فقال إن الله عز وجل قد زوّجك[١] بابنة أبي بكر ومعه صورة عائشة » أخرجه الترمذى .

وقال وعن عائشة رضى الله عنها قالت تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا بنت ست سنين فقدمنا المدينة فنزلنا فى بنى الحارث بن الخزرج فوعِكْت[٢] فتمزق شعرى فوفى جُميمةً فأتتنى أمى أم رومان وانى فى أرجوحة مع صواحب لى فصرخت بى فأتيتها ماأدرى ماتريد منى فأخذت بيدى حتى وقفتنى على باب الداروانى لأنهج حتى سكن بعض نفَسى ثم أخذت شيئاً من ماء فمسحت به وجهى ورأسى ثم أدخلتنى الدار فإذا بنسوة من الأنصار فى البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر فأسلمتنى إليهن فأصلحن من شأنى فلم يرعنى إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى فأسلمتنى إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين أخرجه الشيخان وغيرهما .

قال أبو عمر بن عبد البر كان نكاحه صلى الله عليه وسلم لعائشة فى شوال وابتناؤه بها فى شوال وكانت تحب أن تدخل النساء من أهلها وأحِبَّتها فى شوال على أزواجهن وقالت تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شوال وبنى بى فى شوال وأى نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت : أحظى عنده منى .

---

(١) قال محمد المصطفى إن صح هذا الحديث يحمل على أنه قضى أنك ستتزوجها لا أنه أمضى له تزويجها بلا واسطة أبيها كما فعل بزينب بنت جحش التى قال الله له زوجناكها فدخل عليها بذلك بدون إذنها ودون أوليائها والله أعلم .

(٢) الوعك الحمى والجميمة تصغير الجمة شعر الراس إذا كان طوله حذو الأذنين ، والارجوحة اللوحة التى يلعب بها الصغار .

.. ..

وكانت هى وغيرها من الصحابة يرون أن لشهر شوال بركة خاصة فى الزواج وكان عقده صلى الله عليه وسلم عليها بمكة سنة عشر من النبوة بعد وفاة سيدتنا خديجة رضى الله عنها وقبل الهجرة بثلاث سنين ودخل بها بالمدينة .

(قال محمد المصطفى) والأحاديث الواردة فى كونها أحب نسائه إليه وزوجته فى الجنة كثيرة وقد قال لابنته سيدتنا فاطمة رضى الله عنها لما جاءته مرسلة من أزواجه لتكلمه فى حق عائشة « أى بنية ألست تحبين ما أحب » قالت بلى قال « فأحبى هذه » .

وقال قالت عائشة رضى الله تعالى عنها إنى لأفخر على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم بأربع ابتكرنى ولم يبتكر امرأة غيرى ، ولم ينزل عليه القرآن منذ دخل على الا فى بيتى ، ونزل بعذرى قرآن يتلى[1] ، وأتاه جبريل بصورتى مرتين قبل أن يملك عقدى أخرجه أبو عمر وابن السماك .

(قال محمد المصطفى) وقد ثبت فى الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم لنسائه «لاتؤذونى فى عائشة فإنه والله مانزل على الوحى فى لحاف امرأة منكن غيرها »اه

ثم ذكر أنها قالت بأبى أنت وأمى يارسول الله ادع الله أن يغفر لى ماتقدم من ذنبى وما تأخر . قال : فرفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه وقال (اللهم اغفر لعائشة بنت أبى بكر مغفرة ظاهرة وباطنة لاتغادر ذنبا ولا تكتسب بعدها خطيئة ولا إثما) وقال صلى الله عليه وسلم « أفرحت ياعائشة » فقلت أى والذى بعثك بالحق فقال (أما والذى بعثنى بالحق ماخصصتك بها من بين أمتى وإنها

---

(١) تعنى قصة الافك المشار اليها فى سورة النور .

. . . . . . : . . .

لصلاتى لأمتى بالليل والنهار فيمن مضى منهم ومن بقى إلى يوم القيامة وأنا أدعو لهم والملائكة يؤمنون على دعائى » اهـ .

(قال محمد المصطفى) فهذا وإن لم يختص بها فظهور البشارة به للأمة يعدُّ من بركاتها التى قال فيها أسيد بن حُضير رضى الله عنه ماهى بأول بركاتكم علينا يا آل أبى بكر اهـ .

وقال المحب الطبرى وعن عائشة أنها كان بينها وبين النبى كلام فقال لها «مَن ترضين حكماً بينى وبينك أترضين بعمر» قالت لاأرضى عمر قط عمر شديد غليظ قال « أترضين بأبيك بينى وبينك قالت نعم قالت فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن هذه كان من أمرها كذا وكذا قالت فقلت اتق الله ولا تقل إلا حقا قالت فرفع أبو بكر يده فرثم أنفها وقال أنت لاأم لك يا ابنة أم رومان تقولين الحق وأبوك ولا يقوله رسول الله قال فابتدر منخراها كأنهما عزلاوان[1] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انا لم ندعك لهذا) قالت ثم قام إلى جريدة فى البيت فجعل يضربها بها فولت هاربة منه فلزقت بظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (أقسمت عليك لما خرجت

(١) رثم انفها أى كسره حتى أدماه يقال رثمت المرأة أنفها بالطيب أى لطخته به قال الشاعر .

وتثنى الخمار على عرنين أرنبة   شماء مارنها بالمسك مرثوم

وقوله لاأم لك مثل لا أبا لك أصله ذم الشخص بأنه لقيط لا يعرف أبوه ولا أمه واستعملته العرب لمجرد التوبيخ .

وقوله كانهما عزلاوان تثنية عزلاء وهو فم القربة الاسفل الذى يسميه الشناقطة « الوكاء » فهو كقولهم كانه قربة مطلوق وكاؤها .

.. ..

فإنا لم ندعك لهذا) فلما خرج أبو بكر قامت فتنحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (أدنى منى) فأبت أن تفعل فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال (لقد كنتِ قبلُ شديدة اللزوق بظهرى) أخرجه الحافظ الدمشقى .

وعنها قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع وخرج معه نساؤه قالت وكان متاعى فيه خف وكان على جمل ناج[١] وكان متاع صفية بنت حُيَي فيه ثقل وكان على جمل ثقال[٢] بطيئى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حولوا متاع عائشة على جمل صفية وحولوا متاع صفية على جمل عائشة حتى يمضى الركب قالت عائشة فلما رأيت ذلك قلت ياللعباد الله غلبتنا هذه اليهودية على رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم عبد الله إن متاعك كان فيه خف وكان متاع صفية فيه ثقل فأبطأ بالركب فحولنا متاعها على بعيرك وحولنا متاعك على بعيرها قالت فقلت كلمة نبت منى فسمعنى أبو بكر وكان فيه غَرب (أى حدة) فأقبل علىّ ولطم وجهى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مهلا ياأبا بكر) فقال يارسول الله أو لم تسمع ماقالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الغِيران لاتبصر أسفل الوادى من أعلاه) خرجه الحافظ الدمشقى اهـ باختصار .

وذكر عن عائشة رضى الله عنها قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كنا بالجرف[٣] انصرفنا وأنا على جمل فكان آخر العهد منهم وأنا أسمع

---

(١) جمل ناج أى مسرع وجمعه نواج ومنه قولهم النجا أى انجو مسرعين .
(٢) ثقال أى بطىء المشى .
(٣) الجرف بضم الجيم والراء موضع معروف من مزارع المدينة المنوره .

.. ..

صوت النبى صلى الله عليه وسلم وهو بين يدى ذلك السمر وهو يقول واعروساه قالت والله إنى لعلى ذلك إذ نادى مناد أن الق الخطام فألقيته فأعلقه الله تعالى بيده » اخرجه أحمد .

وأخرج عن عائشة رضى الله عنها قالت « دخل النبى صلى الله عليه وسلم وعندى جاريتان تغنيان بغناء بُعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه فدخل أبو بكر رضى الله عنه فانتهرنى وقال مزمار الشيطان عند رسول الله فأقبل عليه رسول الله وقال دعها ياأبا بكر » الحديث اخرجه الشيخان اه « بعاث » بضم الباء الموحدة وبالعين المهملة والثاء المثلثة اسم حصن للأوس وكان به يوم مشهور من أيام حرب الأوس والخزرج .

حديث أم زرع (١)

عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : جلس إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً (قالت الأولى) زوجى لحم جمل غثّ على رأس جبل وعر لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقَل (٢) .

(قالت الثانية) زوجى لا أبث خبره إنى أخاف أن لا أزره إن أذكره أذكر عُجَره وبُجره (٣) .

---

(١) قيل اسمها عاتكة بنت أكميل بن ساعدة .

(٢) غث : مهزول . وعر : صعب الوصول إليه . فينتقل أى فينقله الناس إلى بيوتهم ليأكلوه بل يتركوه رغبة عنه لرداءته .

(٣) لا أبث : لا انشر ولا اشيع . أن لا ازره : الضمير عائد إلى الخبر أى أن خبره طويل إن شرعت فى تفصيله لا اقدر على إتمامه لكثرته وإذا ذكرته أذكر عجره وبجره أى عيوبه الظاهرة والخفية .

.. ..

(قالت الثالثة) زوجى العشنّق إن أنطق أطلق وأن أسكت أعلق (١) .

(قالت الرابعة) : زوجى كلَيل تِهامة لاحرّ ولا قرٌّ ولا مخافة ولا سآمة .

(قالت الخامسة) : زوجى إن دخل فَهِد وإن خرج أسِد ولا يسأل عما عهد (٢) .

(قالت السادسة) : زوجى إن أكل لفّ وإن شرب اشتف وإن اضطجع التف ولا يولج الكف ليعلم البث . (٣)

(قالت السابعة) زوجى غَيايا،أو عَيايا، طباقا، كل داء له داء شجّك أو فلّك أو جمع كلاً لك . (٤)

(قالت الثامنة) : زوجى الريحُ ريح زَرْنب . والمسُّ مسُّ أرنب . (٥)

---

(١) العشنق : الطويل الممتد القامة السيء الخلق . أعلق : أترك لا عزبة ولامتزوجة .

(٢) فهد بفتح فكسر صار كالفهد فى كثرة النوم والغفلة فى منزله عن تعهد ماذهب من متاعه وما بقى . أسد أى صار كالاسد شجاعة وقوة .

(٣) اللف فى الطعام : الاكثار منه مع التخليط من صنوفه حتى لا يبقى منها شيئا والاشتفاف فى الشرب أن يستوعب جميع ما فى الاناء وإن اضطجع التف فى ثيابه فى ناحية ولم يضاجعنى . يولج الكف أى يدخل اليد . البث : الحزن من بعده عنها .

(٤) غيايا، : لا يهتدى إلى مسلك . عيايا، : الذى لا يلقح أو العنين طباقا، : المطبقة عليه اموره حمقا أو الذى يعجز عن الكلام فتنطبق شفتاه . شجك : جرحك فى رأسك . فلك : كسرك . وضربك أو خاصمك .

(٥) الزرنب : نوع من الطيب معروف أو هو الزعفران. والارنب هو الحيوان المعروف عند الشناقطة بالنيزب .

. . . .

(قالت التاسعة) : زوجى رفيع العماد . طويل النجاد . عظيم الرماد قريب البيت من الناد . (١)

(قالت العاشرة) : زوجى مالك ، وما مالك ، مالكٌ خير من ذلك له إبل كثيرات المبارك : قليلات المسارح إذا سمعت صوت المِزْهر أيقنَّ أنهن هوا لك . (٢)

(قالت الحادية عشرة) : زوجى أبو زرع . ما أبو زرع . أماسَ من حُليٍّ أذُنَيَّ وملأ من شحم عضدى . وبجَّحنى فبجِحت إلى نفسى . وجدنى فى أهل غنيمة بِشق فجعلنى فى أهل صهيل وأطيط ودائس ومُنَقٍّ فعنده أقول فلا أقبَّح وأرقد فاتصبَّح وأشرب فاتقمَّح . (٣)

---

(١) العماد : عماد البيت وهى العيدان التى تعمد بها البيوت : النجاد : حمائل السيف . الناد والنادى والمنتدى مجلس القوم .

(٢) كثيرات المبارك الخ : لا تسرح الا قليلا فهى باركه فى فناء بيته . المزهر بكسر الميم العود الذى يضرب .

(٣) النوس الحركة من كل شىء متدل . الحلى بضم الحاء وكسرها معروف ، بحجنى بتشديد الجيم : فرحنى أو عظمنى . بشق بكسر الشين المعجمة على المشهور : بناحية أو موضع أو بشظف من العيش . أهل صهيل واطيط : أهل خيل وإبل . دائس يدوس الزرع فى بيدره . منق أى ينقى الطعام ويخرجه من تبنه وقشوره . لا أقبح : أى لا يقبح قولى فيرد بل يقبل منى ، اتصبح : أى أنام الصبحة اكتفاء بالخدم فى البيت . وأتقمح أى لا أقطع الشرب بل أتمهل فيه .

. . . .

أم أبى زرع ، فما أم أبى زرع عُكومها رَداح وبيتها فَساح[١] ابن أبى زرع فما ابن أبى زرع مضجعه كَمَسَلٍّ شَطبة . وتُشبعه ذراع الجفرة[٢] .

بنت أبى زرع فما بنت أبى زرع . طوع أبيها وطوع أمها وملء كسائها وغيظ جارتها . [٣]

جارية أبى زرع فما جارية أبى زرع لاتبث حديثنا تبثيثا ولا تنقّث ميرتنا تنقيثا ولا تملأ بيتنا تعشيشا . [٤]

قالت خرج أبو زرع والأوطاب تمخض [٥] فلقى امرأة معها ولدان لها كالفهدين يلعبان من تحت خصرها برمانتين فطلقنى ونكحها فنكحتُ بعده رجلا سرِيًّا ركب شرِيًّا وأخذ خطيًّا وأراح على نَعما ثرِيا [٦] وأعطانى من كل

---

(١) العكوم الأوعية التى فيها الطعام والامتعة جمع عكم بكسر العين . ورداح عظام كبيرة . بيتها فساح : واسع فسيح .

(٢) المسل : أى المسلول والشطبة ما شطب أى شق من جريد النخل وهى السعفة لينسج منه حصير أى أنه كالسيف سل من غمده . الجفرة : الأنثى من أولاد المعز أو الضأن :

(٣) ملء كسائها : ممتلئة الجسم :

(٤) لا تبث حديثنا : لا تشيعه وتنشره . الميرة الطعام المجلوب : لا تنقث اى لا تفسد : تعشيشا : كناسة وقمامة :

(٥) الأوطاب جمع وطب السقاء الذى يمحض فيه اللبن :

(٦) سريا بالسين المهملة سيدا شريفا: شريا بالشين المعجمة : فرسا يستشرى فى سيره فيمضى بلافتور ولا انكسار : خطيار محامنسوبا إلى الخط وهى قرية على ساحل البحر عند عمان والبحرين : نعما ثريا : أى : إبلا كثيرة .

. . . .

رائحة زوجا وقال كُلِى أم زرع وميرى أهلك [١] فلو جمعت كل شىء أعطانى ما بلغ أصغَر آنية ابى زرع .

قالت عائشة قال لى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم كنت لك كأبى زرع لأم زرع . أخرجه الشيخان واللفظ لمسلم .

وأخرجه الحافظ السلفى والدمشقى بلفظ آخر قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ألا ترضين أن أكون لك كأبى زرع لأم زرع) قالت رجل يكنى أبا زرع وامرأته تكنى أم زرع وكان يحسن إليها فتقول أحسن إلىّ أبو زرع وكسانى أبو زرع وأعطانى أبو زرع فخرج أبو زرع ذات يوم فمرّ على جارية يلعب معها أخواها وهى مستلقية على قفاها وأخواها معهما رمانة يرميان بها من تحتها فتخرج من الجانب الآخر من عظم أليتها فخطبها أبو زرع فتزوجها فلم تزل به أم زرع حتى طلقها فتزوجت أم زرع برجل فأكرمها أيضاً فكانت تقول أكرمنى وأعطانى وفعل بى، وتقول فى آخر ذلك لوجمع ذلك كله مابلغ أصغر وعاء لأبى زرع اھ .

وجاء فى بعض طرق هذا الحديث (كنت لك كأبى زرع لأم زرع فى الألفة والرِّفاء لافى الفرقة والخلاء) اھ .

وفى رواية كنت لك كأبى زرع لأم زرع إلاَّ أنه طلقها وأنالا أطلقك) اھ

---

(١) ميرى : أطعمى .

.. ..

شرح مفصل لما جاء فى حديث أم زرع

(الأولى) ذمّت زوجها بالقساوة وسوء الخلق وقلة النفع منه فكأنه لحم جمل هزيل لامخ فيه موضوع على رأس جبل وعر فاجتمع فيه العيبان فلم يكن اللحم سمينا فيتكلف له طلوع الجبل ولم يكن فى محل سهل التناول حتى يؤخذ على دناءته بدون مشقة .

و (الثانية) ذمت زوجها لكنها قالت انها لاتفشى خبره وتخاف من شره إذا ذكرته لأنها تذكر عيوبه كلها .

و (الثالثة) ذمت زوجها بسوء الخلق ولذلك إذا تكلمت طلقها والنساء مجبولات على كراهية الطلاق و إذا سكتت تبقى معلقة لامتزوجة ولامطلقة .

(أما الرابعة) : فقد مدحت زوجها بحسن معاشرته لها وتنعمها به كتنعم أهل تهامة بليلهم لاعتداله وانها لاتخاف منه شراً ولا سآمة .

و (الخامسة) مدحت زوجها بحسن أخلاقه معها وكرمه وأنه إذا دخل البيت معها كان كالفهد فى كثرة نومه وتغافله عما ذهب من متاعة منه وإذا خرج كان كالأسد فى الشجاعة .

واما (السادسة فقد ذمت زوجها بالجشع فى الأكل والشرب وانه لا يضاجعها ولا يدخل يده تحت لباسها ليمس بشرتها ويعلم شدة حزنها على عدم تمتعها به .

و (السابعة) : ذمت زوجها بكثرة الفشامه أو بالعنة أو الحماقه أو العجز عن الكلام وأن كل عيب موجود فيه وبأنه كثير الأذى لها .

. . . .

(والثامنة) مدحت زوجها بدماثة الخلق ولين الجانب .

(والتاسعة) مدحت زوجها بكثرة الكرم والجود وأن أكثر إبله تبقى بفناء منزله ولا توجه للمسرح مخافة ان يأتي الضيفان وهى بعيدة وأنها إذا سمعت المزهر للدعوة إلى الطعام أيقنت انها ستنحر للأضياف .

طريفة فى أنواع المعازف عند الشناقطة

(المزهر) هو آلة اللهو والغناء ويقال له العود والمعزف وجمعه معازف ومن جملتها المزمار والأوتار .

والشناقطة يسمون أنواعه الأربعة المستعملة عندهم كل واحد باسم خاص .

فالعود الكبير — ذو الأوتار أى المربوطة فيه حبال العصب الرقيقة وفى حواشيه حِلق صغار من نحاس تتحرك وتصوِّت عند ضربه برؤس الأصابع الذى يكون بيد المغنية التى يسمونها التِّيقَّوِيتْ « بكسر التاء المشددة بعدها ياء فقاف معقودة مكسورة مشددة فواو مكسورة بعدها ياء مثناة من تحت آخره تاء مثناة من فوق ساكنة » يسمونه — آرْدِين « بفتح الهمزة الممدودة وسكون الراء وكسر الدال المهملة الممدودة بالياء آخره نون ساكنة » .

والعود الصغير الذى يكون فى يد الرجل المغنى الذى يسمونه إيقِّيوْ « بكسر الهمزة الممدودة بالياء بعدها قاف معقودة مكسورة مشددة ممدودة بالياء آخره واو ساكنة » يسمونه التِّدِنيت « بكسر التاء المثناة من فوق المكسورة المشددة بعدها دال مهملة ثم نون مكسورة ممدودة بالياء آخره تاء مثناة من فوق ساكنة » .

. . . .

والنوع الثالث يقرب من وصف هذا إلا أن أوتاره تـكون من شعر أذناب الخيل ويختص به العبيد والمعاتيق ويسمونه أرباب « براء ساكنة قبلها همزة وصل وبائين موحدتين بينهما ألف الأخيرة من البائين ساكنة » .

والنوع الرابع قصبة أطول من الذراع ، يقطعون عرقا من شجرة مخصوصة مستقيما كالعصا ويدفنونه فى الأرض المحمات بالنار حتى يستوى فيسلون عوده من قشرته وتبقى القشرة قصبة فيلبسونها بجلد حيوان صغير غير مدبوغ ويخرقونها من الجانب ستة خروق صغار تسدها رؤس الأصابع فيجعل الإنسان فمه على فمها ويصوِّت فيها بألحان على نظام يستحسنونه ويردد صوته ويرفع بعض رؤس الأصابع عن بعض الخروق ويضعها ويرفع البعض الآخر يبادل أصابعه مع ترديد صوته ويسمونها الزَّوْازَاىَ « بزايَيْن مفتوحتين مفخمتين بينهما واو ساكنة الأولى مشددة والثانية ممدودة بالألف آخره ياء مثناة من تحت مفتوحة » وهى بمعنى المزيكة المعروفة فى المشرق .

وهذه أيضا ــ يختص بها العبيد والمعاتيق ورعاة الماشية والماهر فيها يحاكى فيها أصواتا مختلفة حتى أنه يحاكى فيها صوت جرى الفرس تطارد النعامة وصوت راكب الفرس وراكب الجمل الذى يتبعه وصوت قتله النعامة وبعض الماهرين فيها إذا صوِّت فيها يكون صوته من أحسن ماتسمعه الأذن من أصوات الغناء .

ولـكل قطر اصطلاح فى أسماء آلات اللهو والعمل بها .

وقد تقدم بيان حكمها شرعا فى ترجمة سيدى عبد الله بن رازقه .

.. ..

و بعض الناس أشد غراما بسماعها من بعضهم قال بعض شباب الشناقطة في سماع مغنية أسمها مياها بفتح الميم .

الدين أفسده والحـــلم سفّهه والصبر أعجزه ترديد مَيَاهَـا
ترديدها سحرا من قولها زُمَراً يدنى على شحط ما أقدر الله

وهى بنت أَسَيْسَاخْ بن أَعْمَرْ بن حَسُّون، وأمها عيشة بنت المختار وأم أبيها قَرْم[1] بنت قُرط القانُوتيَة من ـ آفوانيت المغنين المشهورين عند الشناقطة واسم خالتها أيضا مياها بنت المختار بن أحمد دَىّ بن سَدُّومْ ابن انجَرْتُ والذى تردده قول الشاعر :

ما أقدر الله أن يدنى على شحَط مَن دارُه الحزن ممن دارُه صُول

الحزن بفتح الحاء المهملة وسكون الزاى من جزيرة العرب ، وصول قال ياقوت فى معجم البلدان صول بالضم ثم السكون آخره لام كلمة أعجمية لا أعرف لها أصلا فى العربية مدينة فى بلاد الخزَر من نواحى باب الأبواب وهو الدرَبَند . . وليس بالذى ينسب إليه الصولى وابن عمه إبراهيم بن العباس فإن ذلك باسم رجل كان من ملوك طبرستان أسلم على يد يزيد بن المهلب وانتسب إلى ولاية وهذه مدينة كما ذكرت لك وقال حُنْدُج المرى .

فى ليل صُول تناهى العرض والطول
كأنمـــا ليـــله بالليل موصول

---

(١) قرم بقاف معقودة مفتوحة وراء ساكنة أخره ميم مكسورة بنت قرط بضم القاف وسكون الراء آخره طاء مهملة .

. . . .

لا فارق الصبح كفى إن ظفرت به   وإن بدت غُرة منه وتحجيل
لساهر طال فى صول تململه   كأنه حيـة بالسوط مقتول
متى رأى الصبح قد لاحت مخايلة   والليل قد مزِّقت عنه السرابيل
ليـل تحيِّر ماينحط فى جهة   كأنه فوق متن الأرض مشكول
نجومه رُكَّدٌ ليست بزائـلة   كأنما هن فى الجوِّ القناديل
ما أقدر الله أن يدنى على شحط   مَن داره الحزن ممن داره صول
الله يطوى بساط الأرض بينهما   حتى يرى الربع منه وهو مأهول

تنبيـــه

وقع فى الطبعة الأولى من هذا الـكتاب تفسير «صول» بخلاف هذا ثم تبين أنه غلط فجعلنا هذا الصحيح مكانه .

(ومحمد المصطفى) قد عكس قول الشاعر فى سماع المغنية إلى سماع كلام الله تعالى من تلاوةِ حسن الصوت به فقال :

الدين يصلحه والحـلم يرشده   والصبر يثبته آيات يقراها
زَيْنٌ يرتلهـا حُسنا يحبِّرهـا   عبدالـكريم بأخرى بعدسَاماها

وزين : هو الشيخ محمد زين بن عبد الله بن محمد راشد بن معروف الباوْيانى المـكى الرجل الصالح المجود لتلاوة كتاب الله العزيز بصوته الحسن الذى يزيد قلوب المؤمنين إيمانا وعبدالـكريم تلميذه الذى يتلو معه فى محافل الخير و يشاركه فى إنشاد المديح وهو ابن عبد المنان الفِلِنْبانى وأصلهما من جاوه .

اللهم اشغلنا بذكرك ولا تجعلنا من الغافلين .

. . . .

رجوع إلى بقية حديث النسوة

(والعاشرة) مدحت زوجها بأربع عبارات من أحسن الكنايات فقولها رفيع العماد كناية عن كِبر خيمته وسعتها ، وطويل النجاد أى حمائل سيفه كناية عن طول قامته ، وعظيم الرماد كناية عن كثرة طبخه الدال على كثرة إطعامه ، وقريب البيت من الناد كناية عن تعرضه للأضياف واجتماع الناس عنده والناد مجلس القوم ومحل تحدثهم و يطلق على القوم المتحدثين فى مجتمع .

﴿ أما أم زرع التى أضيف إليها الحديث ﴾ فقد بالغت فى مدح أبى زرع فبدأت باستعظامه بقولها وما أبو زرع أى هو شىء عظيم ثم شرعت تعدد نعمه عليها فقالت إنه ملأ أُذنيها من الأقراط والشنوف حتى تدلّت وتحركت وسمّنها وعظّمها فعظمت إليها نفسها يقال فلان يبجح بكذا أى يتعاظم و يفتخر ومنه قول الشاعر :

وما الفقر من أرض العشيرة ساقنا إليك ولكنا بقربك نبجَح

وأنه وجدها فى شظف من العيش بشق أو بشق الجبل فجعلها فى أهل خيل تصهل و إبل تئِط أى تصوت وقد يطلق الأطيط على غير ذلك فقد ورد ﴿ ليأتين على باب الجنة وقت فيه أطيط ﴾ أى صوت الزحام وورد ﴿ أطت السماء وحق لها أن تئط مافيها موضع قدم إلا وفيه ملك قائم يصلى ﴾ .

قال المناوى رواه الإمام أحمد والترمذى وابن ماجه والحاكم عن أبى ذر مرفوعا بلفظ « ما فيها موضع أربع أصابع إلا وعليه ملك واضع جبهته » وفى رواية الترمذى ساجداً لله تعالى وهذا الحديث حسن أو صحيح اه .

. . . .

وقولها (دائس ومُنَقٍّ) أسما فاعل من الدوس والتنقية ، والدوس هو أن يكوَّم الزرع إذا حصد ويترك فى سنبله مدة حتى ييبس ثم تمشى عليه الدواب تطؤه بحوافرها حتى يتهشم تبنه ويخرج حبه من قشره ، والتنقية تصفية الحب من التبن تعنى أنه مع كونه صاحب إبل وخيل فكذلك صاحب زرع كثير .

ثم أخبرت عن حسن عشرته بأنه لايرد كلامها بل يقبله وبأنها تنام نومة الضحى فلا توقظ وبأنها تتقمح بالميم أى تروى حتى يفضل عنها اللبن .

وفى رواية فأتقنح بالنون بعد القاف ومعناه أتمهل فى شربى رويداً وقيل هو الشرب بعد الرِّى .

ثم انتقلت إلى مدح أمه فعظمتها أولاً ثم قالت (عكومها رداح) العكوم الغرائر التى تكون فيها أمتعة أهل الخيام ورداح أى عظام كثيرة الحشو كناية عن كثرة خيرها ، (وبيتها فساح) أى واسع كناية عن استعدادها لكثرة الأضياف .

ثم عظَّمت ولده ومدحته بأنه نحيف الجسم قليل الأكل وهذا من أوصاف المدح عند العرب .

ثم عظَّمت بنته ومدحتها بالبر لوالديها وسمن جسمها وجمال ذاتها وعلى ذلك تحسدها جارتها وتغتاظ وتغير منها « فان كل ذى نعمة محسود » .

ثم عظَّمت جاريته ومدحتها بأنها لاتذيع حديثهم ولاتفشى سرهم ولاتنقث ميرتَهم أى أمينة على طعامهم لاتبذره ، وتنقث بالمثناة الفوقانية والنون والقاف والثاء المثلثة .

. . . .

ومدحتها بالنظافة وأنها لاتترك والوسخ القمامة فى البيت معششة أى مجتمعة كعش الطير .

ثم ذكرت سبب مصيبتها بفراق أبى زرع فقالت خرج أبو زرع والأوطاب تمخض ، الأوطاب جمع وطب وهى الجلود المدبوغة التى يمخض فيها اللبن ليخرج زبده والوطب هو المعروف عند الشناقطة بالشكوة وجعلت وقت مخض الأوطاب ظرف زمان لخروجه وفيه احتمالان قيل أرادت زمن الخريف وكثرة مخض اللبن ، وقيل أرادت وقت الضحى الذى هو وقت مخض اللبن فى الغالب عند أهل البادية .

وقولها (يلعبان من تحت خصرها برمانتين) تعنى أنها ذات كفَل عظيم فاستلقت على قفاها فارتفع ظهرها عن الأرض لكبر وركيها فصار الولدان يرميان بالرمانتين فتخرجان من تحت ظهرها ، والرمان هو الفاكهة المذكورة فى القرآن المعروفة فى غالب الأقطار سوى قطر شنقيط فإنهم إنما يقرءونه فى القرآن كسائر الفواكه ولا يعرفون ذواتها إلا من سافر منهم إلى الأقطار النائية.

ثم قالت أم زرع فتزوجت بعده رجلا « سَرِيًّا » ، والسرى الشريف السخى ذو المروءة وتقدم البحث فى لفظه عند قول الناظم (وأمنا رملة من سراة) البيتَ « ركب شريا » والشرى بالشين المعجمة الفرس الجواد القوى فى سيره الفائق لخيار الخيل . « أخذ خَطِّيا » والخطى الرمح المنسوب إلى بلد الخط من ناحية البحرين قال الشاعر :

وهل ينبت الخطى إلا وشيجه   وتغرس إلا فى منابتها النخل

و « نَعَما ثَرِيًّا » والثرى الكثير ومنه الثروة فى المال وهى الوفور والكثرة ،

.. ..

وأعطاها من كل ما يروح زوجا أى أثنين ذكرا وأنثى أو لونين ثم أطلق لها الإذن فى ماله أن تأكل ماتشاء وتمير أهلها أى تحمل لهم من الحبوب مايطعمون به قال الله تعالى حكاية عن أولاد يعقوب عليه السلام (ونمير أهلنا) ، ومع ذلك كان خيره كله لا يساوى عندها أصغر إناء لأبى زرع فصار كما قال الأعشى :

عُلِّقتها عرضا وعلقت رجلا غيرى وعلِّق أخرى ذلك الرجل

استطراد وكلمة عن شنقيط والشناقطة

بيت الأعشى هذا من قصيدته التى مطلعها :

وَدِّعْ هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعا أيها الرجل

وهذه القصيدة من أقوى الشواهد على اختصاص الشناقطة بالتمسك بأخلاق العرب الأصلية غير المخالفة للشرع .

فهم متمسكون بقول جدنا سيدى عبد الله بن الحاج إبراهيم :

ما ريثما لم ينه عنه حسن وغيره القبيح والمستهجَن

فان كل ما ذكر فيها من أوصاف الرجال المحمودة هى المحمودة عندهم كما أن ما ذكر فيها من أوصاف النساء مطابق لأوصاف نسائهم .

وأنا أسوق اعتراضا يرد على هذا المقال ثم أجيب عنه إن شاء الله ذو الجلال فأقول معترضا إنا إذا نظرنا الآن إلى العدد الوافر من الشناقطة الموجود بالحجاز رجالا ونساء وأردنا أن نطبق عليهم أوصاف العرب المذكورة فى أشعارهم

. . . .

تجدها لاتنطبق على عشر معشارهم بل يتجلى لنا قوله صلى الله عليه وسلم «الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة» .

ثم أقول مجيبا عنه إن مرادى بالشناقطة من كان من تاريخ عمارة شنقيط من القرن الثامن إلى حدود العشرين والثلاثمائة وألف قبل أن يدخله الفرنسيون فإنهم دخلوه عام واحد وعشرين قال مؤرخهم :

في عام شاكس على البطان قد طاع الكافر كَبُّلَانِ[1]

فعدد حروف شاكس (١٣٢١) فمن يوم دخلوه بدءوا يبذلون مجهودهم في نقض دين الإسلام وأخلاق المسلمين وهذه بغيتهم القصوى (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها) الآية ولاسيما إذا كانوا أعداء دين أهلها غير أنهم لم يستطيعوا تغيير حال من وجدوه قد بلغ أشده وقوى بالإيمان قلبه وإنما دبّ داؤهم إلى من نشأ تحت سيطرتهم وهو غالب الطبقة الموجودة اليوم .

وهذا جواب خاص وهو أنه لايخفى على عاقل أن الله جلت عظمته لم يجعل قسما وافرا من خلقه وقطرا واسعا من معمور أرضه على وصف واحد بل جعل منهم الشريف والرذيل والسخى والبخيل والتقى والعاصى وهكذا فى سائر الأوصاف فالذى يعرف الشناقطة حقيقة يعلم أن أكثر من يرد منهم الحجاز فى هذا الزمان أسافلهم من عبيد ومعاتيق وموال ورعاة مواش طردتهم شدة الزمان باستعمار فرنسا لبلادهم وقليل من أفاضلهم ذكورا وإناثا فرّوا بدينهم مستخفين عن أعدائهم لم يستطيعوا أخذ الزاد من أموالهم فيقيمون بالحرمين الشريفين صابرين على

---

(١) كبلان بفتح الكاف وضم الموحدة المشددة ولام ممدودة آخره نون اسم القائد الفرنسى الذى دخل بلاد شنقيط .

. . . .

فقرهم بأنعين دنياهم بآخرتهم وهم قليل جدا تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا ولا يقفون على أبواب الحكام ولا يتعرضون لوظائفهم فهؤلاء يغطّى الفقر ما كان من مكارمهم ومحاسنهم ويلتبسون على من لا يعرفهم بأولئك الأراذل من جنسهم فيظنون أنهم أشقاؤهم من بطن أمهم وقد قال الشاعر .

فصاحة سحبان وخط ابن مقله وحكمة لقمان وزهد ابن أدهم
إذا اجتمعت فى المرء والمرء مفلس ونُودى عليه لا يباع بدرهم

وعكسه

خباثة حجاج ولؤم ابن قاشر وجهل أبى جهل وشح ابن أيهم
إذا اجتمعت عند امرىء رب ثروة لكان جديرا فى الورى بالتقدم

والله در سعيد بن مبارك النحوى كما فى حياة الحيوان حيث قال :

أرى الفضل مَنَّاحَ التأخر أهله وجهل الفتى يسعى له فى التقدم
كذاك أرى الُخفّاش ينجية قبحه ويحتبس القمرى حسنَ الترنم

ولذلك قال القاضى أحمد بن محمد الأرجانى بفتح الهمزة وكسر الراء :

لو كنت أجهل ما علمت لسرّنى جهلى كما قد ساءنى ما أعلم
كالصعو يرتع فى الرياض وإنما حبس الهزار لأنه يتكلم

وفى استطاعة المعترض أن يسأل المسنّين من أهل الحجاز بل من كل الناس عن أوصاف من كان يرد من الشناقطة إلى المشرق قبل هذا الزمن المنحوس على بلادهم فان كل من يعقل تاريخ حدود الأربعين والثلاثمائة وألف يعرفهم على خلاف ما يراهم اليوم فإنا لله وإنا إليه راجعون وحسبنا الله ونعم الوكيل ولكن من اطلع على مؤلفات علمائهم وأشعار أدبائهم تبين له ما كان من علوّ شأنهم عسى الله أن يقيل عثرة قطرهم ويصلح كل ما فسد من أمرهم .

. . . .

بقية مناقب الصديقة رضى الله عنها

ثم نرجع إلى ما نحن بصدده من مناقب الصديقة رضى الله عنها وعن أبويها قال المحب الطبرى فى .

ذكر رؤيتها جبريل عليه السلام وسلامه عليها

عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من الأحزاب دخل المغتسل ليغتسل فجاءه جبريل عليه السلام فقال « أَوقد وضعت السلاح ما وضعنا السلاح بعد » قالت فكأنى أنظر إلى جبريل عليه السلام من خلل الباب قد عصب رأسه الغبار .

وعنها قالت رأيت النبى صلى الله عليه وسلم واضعاً يده على مَعرَفة فرس دِحية الكلبى وهو يكلمه قالت قلت يا رسول الله رأيتك واضعاً يدك على معرفة فرس دحية الكلبى وأنت تكلمه قال أوقد رأيتيه قلت نعم قال ذاك جبريل وهو يقرئك السلام قالت وعليه السلام جزاه الله من صاحب ودخيل خيراً فنعم الصاحب ونعم الدخيل .

وعنها قالت وثب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبة شديدة فنظرت فإذا رجل واقف على برذون وعليه عمامة بيضاء طرفها بين كتفيه ورسول الله واضعاً يده على معرفة برذونه فقلت يارسول الله قد راعتنى وثبتك مَن هذا ؟ قال أرأيتيه قلت نعم قال ومَن رأيت قلت ظننته دحية قال «ذاك جبريل » خرجها صاحب الصفوة وبعضها خرجه الإمام أحمد .

وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى فى بيت عائشة رضى الله عنها رأت رجلا عليه كذا وكذا لا تدرى من

. . . .

هو فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فلبس ثيابه وخرج إليه فإذا هو جبريل عليه السلام فقال : إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا بول ولا تماثيل قالت فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ الكلب ورمى به ودخل جبريل عليه السلام » خرجه ابن شاهين .

وعنها رضى الله عنها قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام فقلت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى مالا نرى تريد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه البخارى ومسلم والترمذى وغيرهم اه‍ .

ذكر ما ظهر من بركتها وتبرئتها من الإفك بنص القرآن

فبسبب طلب قلادتها نزلت آية التيمم فقال أُسيد بن حُضير جزاكِ الله خيراً فوالله ما نزل بكِ أمر قط إلا جعل الله لك منه مخرجا وجعل للمسلمين فيه بركة وقال أبوها رضى الله تعالى عنه والله إنك ما علمت لمباركة أخرجه الشيخان وأبو داود والنسائى وبراءتها من الافك مشهورة اه‍ .

ذكر مايخص السيدة سودة رضى الله عنها

عن عائشة رضى الله عنها قالت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بحريرة(١) طبختها له فقلت لسودة والنبى صلى الله عليه وسلم بينى وبينها كلى فأبت فقلت لها كلى وإلا لطخت وجهك فأبت فوضعت يدى فى الحريرة فطليت وجهها فضحك النبى صلى الله عليه وسلم ووضع لها فخذه علىّ وقال لها ألطخى وجهها فلطخت وجهى فضحك النبى صلى الله عليه وسلم أيضاً رواه ابن عيلان من حديث الهاشمى وخرجه الملا فى سيرته .

---

(١) الحريرة بالحاء المهملة وبراءين هى الحساء المعروف عند الشناقطة بالنشا .

. . . .

ثم قال فى رفقه صلى الله عليه وسلم بسودة بإذنه لها بالدفع من مزدلفة قبل الناس وشدة اتباعها له :

عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت استأذنت سودة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المزدلفة أن تدفع قبله وقبل حُطَمة الناس وكانت امرأة ثَبِطَة والثبطة الثقيلة فأذن لها فخرجت قبل دفع الناس وحبسنا حتى أصبحنا ودفعنا بدفعه خرجه مسلم .

وأخرج أحمد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لنسائه فى حجة الوداع (هذه ثم ظُهُورُ الْحصُر) يعنى أُحججن هذه الحجة ثم الزَمْن فرشكن ، والْحُصُر جمع حصير قال فكن كلهن يحججن إلا زينب بنت جحش وسودة بنت زمعة فكانتا تقولان فى ذلك والله لا تحركنا دابة بعد ما سمعنا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم اه .

ذكر ما يخص السيدة زينب بنت جحش رضى الله عنها

عن أنس رضى الله عنه قال تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش فدخل بأهله فصنعت أم سُليم حَيسا فجعلته فى تَوْرٍ (إناء يشرب فيه) وقالت يا أنس اذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له بعثت بهذا إليك أمى وهى تقريك السلام وتقول لك هذا لك منا قليل يا رسول الله فذهبت به إليه فقال ضعه ثم قال اذهب فادع لى فلانا وفلانا ومن لقيت وسمى رجالا فدعوت من سمىّ ومن لقيت قال قلت لأنس كم كان عددكم قال زهاء ثلاثمائة فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أنس هات التّور قال فدخلوا حتى امتلأت الصُّفة والحجرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لِيَتحلّقْ عشرة عشرة وليأكل كل إنسان مما يليه فأكلوا حتى شبعوا فخرجت طائفة ،

. . . .

ودخلت طائفة حتى أكلوا كلهم قال فقال يا أنس أُرفع فرفعت فما أدرى كان أكثر حين وضعت أم حين رفعت قال وبقى منهم قوم يتحدثون فى بيت رسول الله ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وزوجته مولية وجهها إلى الحائط فثقلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج وسلَّم على نسائه ثم رجع فخرجوا ونزلت آية الحجاب رواه مسلم والترمذى وغيرهما .

وقد روى عقيل بن خالد عن مجالد فى قوله تعالى ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً﴾ الآية أنها نزلت فى زينب بنت جحش خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على زيد بن حارثة رضى الله عنه فقالت لا أتزوجه أبداً وأنا سيدة أبناء عبد شمس فأنزل الله الآية فقرأها عليها فقالت رضيت فتزوجها زيد ابن حارثة اهـ .

وذكر الملاَّفى سيرته أنها أول من حمل على نعش[1] يعنى على نعش مصنوع مسمر الذى هو عادة أهل المدن اليوم خلاف أهل البادية و بعض القرى فإنهم إنما يأخذون أعمدة ويربطونها بالحبال ويحملون عليها الميت فإذا دفنوه فككوها اهـ .

ذكر مايخص السيدة حفصة رضى الله عنها

ذكر المحب الطبرى ما ذكره المفسرون قالوا استرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بتحريم مارية رضى الله عنها وأنه قال لها وأبشرك[2] أن أبا بكر

---

(١) وقد قيل أن أول من حملت عليه سيدتنا فاطمة الزهراء والله أعلم .

(٢) وهذه البشارة هى البعض الذى أعرض عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى قول الله تعالى (عرف بعضه وأعرض عن بعض) .

. . . .

هو الخليفة بعدى وأن أباك هو الخليفة من بعده ثم ذكر الطبرى الذين شهدوا بدراً من أهل بيتها وهم أبوها عمر وعمها زيد وزوجها خنيس وأخوالها عثمان وعبد الله وقدامة بنو مظعون وابن خالها السائب ابن عثمان بن مظعون رضى الله تعالى عنهم .

ذكر ما يختص السيدة أم سلمة

رضى الله عنها

عن أم سلمة رضى الله عنها قالت لما أجمع أبو سلمة على الخروج إلى المدينة رحّل لى بعيره وحملنى عليه وحمل معى ابنى سلمة فى حجرى ثم خرج بى يقود بعيره فلما رأته بنو المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم قاموا إليه فقالوا هذه نفسك غلبتنا عليها أرأيت صاحبتنا هذه علامَ نتركك تسير بها فى البلاد فنزعوا خطام البعير من يده فأخذونى منه وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبى سلمة وانتزعوا سلمة وأخذوه عندهم وحبسنى بنو المغيرة عندهم وانطلق أبو سلمة إلى المدينة قالت ففرق بينى وبين ابنى وزوجى فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح فما أزال أبكى حتى أمسى سبعاً أو قريباً منها حتى مرّ بى رجل من بنى عمى أحد بنى المغيرة فرأى ما فى وجهى فقال لبنى المغيرة ألا تخرجون هذه المسكينة فرقتم بين ولدها وزوجها وبينها قالت فقالوا لى الحقى بزوجك إن شئت قالت ورد بنو عبد الأسد ابنى إلى قالت فارتحلت بعيرى وأخذت ابنى فوضعته فى حجرى ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة وما معى أحد من خلق الله قالت قلت أتبلّغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجى حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن أبى طلحة أخا بنى عبد الدار فقال لى إلى أين يا بنت أبى أمية فقلت أريد زوجى فى المدينة قال وهل ما معك أحد قلت لا والله إلا الله

. . . .

وأبى هذا قال والله مالك من مترك[1] فأخذ بخطام البعير فانطلق يهوى فوالله ماصحبت رجلامن العرب قط كان أكرم منه كان إذا بلغ المنزل أناخ بى ثم يستأخر عنى حتى إذا نزلت استأخر ببعيرى فحط عنه ثم قيده فى الشجرة ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع فإذا أردنا الرواح قام إلى بعيرى فقدمه ورحله ثم استأخر عنى وقال اركبى فإذا ركبت واستويت على بعيرى أتى فأخذ بخطامه فقادنى حتى نزل بى فلم يزل يصنع ذلك حتى أقدمنى المدينة فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف قال زوجك فى هذه القرية وكان أبو سلمة نازلا بها فادخليها على بركة الله ثم انصرف راجعاً إلى مكة قال كانت تقول والله ما أعلم أهل بيت أصابهم فى الإسلام ما أصاب آل أبى سلمة وما رأيت صاحباً قط أكرم من عثمان بن أبى طلحة « خرجه ابن إسحاق » .

ثم ذكر أنها لمـا انقضت عدتها من أبى سلمة خطبها أبو بكر ثم عمر رضى الله عنهما فأبت ثم أرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت مرحباً برسول الله صلى الله عليه وسلم إن فى خلالا ثلاثا أنا امرأة شديدة الغيرة وأنا امرأة مُصبِية (أى ذات صبيان صغار) وأنا امرأة ليس لى من أوليائى هنا أحد يزوجنى فغضب سيدنا عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أشد من غضبه لنفسه حين ردته فأتاها فقال أنت التى تردين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبم تردينه قالت يابن الخطاب بى كذا وكذا فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما ما ذكرت من غيرتك فإنى أرجو الله أن يذهبها عنك وأما ما ذكرت من

---

(١) المترك مفعل من الترك والمعنى لا يمكننى تركك .

.. ..

صبيتك فإن الله سيكفيهم وأما ما ذكرت من أوليائك فليس منهم أحد شاهد ولاغائب يكرهنى فقالت لابنها زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه إياها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ أما إنى لم أنقصك مما أعطيت فلانة ﴾ قال ثابت قلت لابن أم سلمة ما أعطى فلانة قال أعطاها جرتين تضع فيهما حاجتها ورحى ووسادة حشوها ليف ، ثم ذكر أنه صلى الله عليه وسلم أراد الدخول عليها فرأى بنتها زينب فى حجرها فرجع ثم جاء عمار رضى الله عنه وكان أخا أم سلمة فى الرضاعة فانتزع البنت من حجرها وقال هات هذه المقبوحة التى منعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاجته فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرها فى حجرها فقال أين زنّاب قالت أخذها عمار فقال صلى الله عليه وسلم إنى آتيكم الليلة قالت فقمت وأخرجت حبات من شعير كانت عندى فى جَرّة وأخرجت شحما فعصدته[٢] قالت ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فبات عندى وفى صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم أقام عندها ثلاثا وقال ليس بك هوانٌ على أهلك فإن شئت سبعت لك وإن سبعت لك سبعت لنسائى فرضيت بالثلاث وقال عروة بن الزبير كانت من أجمل النساء .

ثم ذكر دخولها فى أهل بيته صلى الله عليه وسلم ـ أخرج الإمام أحمد والدولابى عنها رضى الله عنها قالت أغدق رسول الله صلى الله عليه وسلم على علىّ وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم خميصة سوداء ثم قال اللهم إليك لا إلى

---

(٢) أى جعلت دقيق الشعير عصيدة مأدومة بالشحم والعصيدة هى العيش عند الشناقطة اهـ مؤلف .

.. ..

النار أنا وأهل بيتى قالت قلت وأنا يا رسول الله قال وأنت اه .

وأخرج أبو الحسن الخلعى عن عمرو بن شعيب أنه دخل على زينب بنت أبى سلمة فحدثته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عند أم سلمة فجعل حسنا فى شق وحسينا فى شق وفاطمة فى حجره رضى الله عنهم وقال رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد وأنا وأم سلمة جالستان فبكت أم سلمة فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما يبكيك قالت يارسول الله خصصتهم وتركتنى وابنتى قال إنك وابنتك من أهل البيت ا ﻫ .

ثم ذكر أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبلها وهو صائم وكانت تنام معه فى لحاف واحد وهى حائض وكانت تغتسل معه فى إناء واحد من الجنابة وتقول أبق لى أبق لى أى أترك لى شيئاً من الماء وأنه صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى العصر دخل على نسائه واحدة واحدة يبدأ بأم سلمة ويختم بعائشة .

وأخرج الإمام أحمد وغيره أنه صلى الله عليه وسلم قال لها يا أم سلمة إنى قد أهديت إلى النجاشى حلة وأواقى مسك وإنى لا أراه إلا قد مات وما أرى الهدية التى أهديت إليه إلا سترد إلىّ فإن ردت علىّ فهى لك[١] فكان كما قال صلى الله عليه وسلم مات النجاشى وردت عليه الهدية فأعطى كل امرأة من نسائه أوقية وأعطى أم سلمة بقية المسك والحلة ا ﻫ .

---

(١) قوله فهى لك أى الحلة لا جميع الهدية بدليل إعطائه لنسائه منها .

. . . .

ذكر متابعتها للسنة

وبحثها عن دينها ورغبتها فى الأجر وحسن رأيها

أخرج الإمام مسلم عنها قالت لما مات أبو سلمة رضى الله تعالى عنه قلت غريب وفى أرض غربة لأبكينّه بكاء يتحدث به فكنت قد تهيأت للبكاء عليه إذ أقبلت امرأة تريد أن تساعدنى فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تريدين أن تدخلى الشيطان بيتا أخرجه الله منه مرتين فكففت عن البكاء فلم أبكه .

وعنها رضى الله عنها قالت قلت يا رسول الله إنى امرأة أشد ضفر رأسى أفأنقضه لغسل الجنابة قال لا إنما يكفيك أن تحثى على رأسك ثلاث حثيات ثم تفيضى الماء عليك فتطهرين .

وعنها قالت شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى أشتكى فقال طوفى من وراء الناس وأنت راكبة فطفت ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى إلى جنب الكعبة يقرأ بالطور وكتاب مسطور، وفى رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها وهى بمكة وأرادت الخروج ولم تكن طافت بالبيت فقال لها صلى الله عليه وسلم « إذا أقيمت صلاة الصبح فطوفى على بعيرك والناس يصلون » ففعلت ذلك ولم تصل حتى خرجت اهـ .

وعنها قالت قلت يا رسول الله هل لى أجر فى بنى أبى سلمة أنفق عليهم ولست بتاركتهم هكذا وهكذا إنما هم بنيى فقال نعم لك أجر ما أنفقت عليهم أخرجه الشيخان .

وأخرجا أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم لما صالح أهل مكة يوم الحديبية وكتب الصلح بينه وبينهم وفرغ من قضية الكتاب قال لأصحابه قوموا

.. ..

فانحَروا ثم أحلِقوا فثقل ذلك عليهم فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقى من الناس فقالت يا نبى الله أتحب ذلك أخرج ولا تكلم أحداً حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج ففعل ذلك فلما رأوا ذلك قاموا ونحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمًّا وقد رواه أحمد بأطول مما رواه الشيخان .

ثم ذكر أن بنتها زينب بنت أبى سلمة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يغتسل وهى صغيرة فنضح فى وجهها الماء فلم يزل ماء الشباب فى وجهها من بركته صلى الله عليه وسلم حتى كبرت وعجزت وكانت من أجمل النساء ومن أفقه نساء أهل زمانها وكان اسمها برة فسماها صلى الله عليه وسلم زينب اه .

ذكر مايخص السيدة أم حبيبة

رضى الله عنها

زاد فى السمط على ما تقدم فى ترجمتها أنها قالت فما شعرت إلا برسول النجاشى على بابى يستأذن فإذا جارية يقال لها أبرهة كانت تقوم على ثيابه وذهبه فقالت لى إن الملك يقول لك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أن أزوجك منه فقلت بشرك الله بخير ثم قالت وأعطيت أبرهة سوارين من فضة وخدَمتين[1] كانتا فى رجلىّ وخواتم فضة كانت فى أصابعى سرورا بما بشرتنى به فلما كان العشىّ أمر النجاشى جعفر بن أبى طالب ومن هناك من المسلمين فحضروا فخطب النجاشى وقال الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن

(١) خدمتين تثنية خدمة بالخاء المعجمة والدال المهملة وهى الخلخال وجمعها خدم وخدام .

. . . .

المهيمن العزيز الجبار أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون أما بعد فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنى أزوجه أم حبيبة وقد أصدقتها عنه أربعمائة دينار ذهباً ، ثم سكب الدنانير بين يدى القوم فتكلم خالد بن سعيد فقال الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . أما بعد فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوّجته أم حبيبة بنت أبى سفيان فبارك الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدفع النجاشى الدنانير إلى خالد فقبضها ، ثم أرادوا أن يقوموا ، فقال النجاشى اجلسوا فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج فدعا بطعام فأكلوا وتفرقوا ، قالت أم حبيبة فلما وصل إلىّ المال أرسلت إلى أبرهة التى بشرتنى فقلت لها إنى كنت أعطيتك ما أعطيتك يومئذ ولامال بيدى وهذه خمسون مثقالا فاستعينى بها فأبت وأخرجت حِقاً[1] فيه كل ما أعطيتها فردته على وقالت إن الملك عزم علىّ أن لا أرزأك شيئا وأنا التى أقوم على ثيابه وذهبه وقد اتبعت دين محمد صلى الله عليه وسلم وأسلمت لله ، وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بكل ما عندهن من العطر . قالت فلما كان الغد جاءتنى بورس وعُود وعنبر وزباد فقدمت بذلك كله على رسول الله

---

(١) الحق بكسر الحاء المهملة هو الماعون الصغير والغطاء المعروف عند الشناقطة بالبطة موافقا لاسم البطة التى هى نوع من الطيور أكبر من الوز يربى فى البيوت كالدجاج لا يطير والوز هو طير الماء المعروف وقولها عزم علي الملك أن لا أرزأك شيئا أى الزمها وأكد عليها أن لا تأخذ منها شيئا والورس والعود والعنبر والزباد أنواع من الطيب معروفة فى غالب الاقطار اه .

صلي الله عليه وسلم وكان يراه كله عليَّ وعندى فلا يكرهه قالت أبرهة حاجتي إليك أن تقرىء رسول الله صلى الله عليه وسلم منى السلام وتعلميه أنى اتبعت دينه ، قالت ثم جهزتنى وكانت كلما دخلت على قالت لا تنسى حاجتى إليك قالت فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرته كيف كانت الخطبة وما فعلت فيَّ أبرهة فتبسم وأقرأته السلام منها ، فقال : وعليها السلام ورحمة الله وبركاته » خرجه صاحب الصفوة اه .

وقد أخرج الشيخان أن أم حبيبة لما جاءها نعى أبيها أبى سفيان دعت بطيب فمسحت عارضيها وذراعيها وقالت مالى به من حاجة لولا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً اه .

وأخرج مسلم عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من صلى أثنتى عشرة ركعة فى يومه وليلته بنى له بيت فى الجنة قالت فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم » اه . وقد جاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه فى قوله تعالى ﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ﴾ قال صهر أبى سفيان حين تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنته أم حبيبة رضى الله تعالى عنها .

ذكر ما يخص السيدة جويرية

رضى الله عنها

قال الطبرى قال ابن هشام ويقال لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المصطلق ومعه جويرية بنت الحارث وكان بذات الجيش دفع جويرية

. . . .

إلى رجل من الأنصار وديعةً وأمره بالاحتفاظ بها وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأقبل أبوها الحارث بن أبي ضرار بفداء ابنته فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء فرغب في بعيرين منها فغيَّبها في شِعب من شعاب العقيق ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال يا محمد أصبتم ابنتي وهذا فداؤها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين البعيران اللذان غيبت في العقيق في شعب كذا وكذا ، قال الحارث أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله فوالله ما أطلع على هذا إلا الله فأسلم الحارث وأسلم ابنان له وناس من قومه وأرسل إلى البعيرين فجاء بهما فدفع الإبل للنبي صلى الله عليه وسلم فدفعت له ابنته جويرية فأسلمت وحسن إسلامها فخطبها النبي صلى الله عليه وسلم من أبيها فزوجه إياها وأصدقها أربعمائة درهم انتهى المراد منه .

(قال محمد المصطفى) : لا يخفى على أهل العلم بالسيرة غرابة القول بأن أباها هو الذي زوجها وإنما الصحيح هو ما تقدم في ترجمتها ولذلك قال ابن هشام ويقال بصيغة التضعيف ولكن كما قال الشريف العراقي :

وليعلم الطالب أن السيرا   تجمع ما صح وما قد أنكرا

وما كتبت هذا القول إلا لأنبه على ضعفه وغرابته والله أعلم .

ذكر ما يخص السيدة صفية

رضى الله عنها

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي

. . . .

بصفية يوم خيبر وأنه قتل أباها[1] وأخاها وزوجها وأنه قال لبلال خذ بيد صفية فأخذ بيدها فمر بها بين المقتولين فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رئي في وجهه ، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها ، فنزعت شيئاً كانت جالسة عليه ، فألقته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خيرها بين أن يعتقها فترجع إلى من بقى من أهلها أو تسلم فيتخذها لنفسه ، فقالت : أختار الله ورسوله ، فلما كان عند رواحه أحقبها بعيره (أردفها خلفه) ولما أرادت الركوب وضع لها فخذه لتركب فأجلت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تضع قدمها على فخذه ، فوضعت ركبتها على فخذه ، فركبت ثم ركب صلى الله عليه وسلم فألقى عليها كساء ، ثم سار وقد قال المسلمون لا ندرى أتزوجها أم اتخذها أم ولد ، ثم قالوا إن حجبها فهى امرأته وإن لم يحجبها فهى أم ولد فلما أراد أن يركب حجبها فقعدت على عجز البعير فعرفوا أنه قد تزوجها فلما دنوا من المدينة دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى آخر ما تقدم فى ترجمتها .

وعن أنس رضى الله عنه قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت حُيَى ، وقال لها : هل لك فىّ ، قالت : يا رسول الله كنت أتمنى ذلك فى الشرك فكيف إذ امكننى الله منه فى الإسلام ، فأعتقها وتزوجها أخرجه تمام فى فرائده .

وفى الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم كان معتكفاً فجاءته صفية فتحدثت معه ساعة ، ثم قامت فقام يشيعها إلى باب المسجد فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا النبى صلى الله عليه وسلم أسرعا ، فقال صلى الله عليه وسلم : على رِسْلكما

---

(١) قوله اباها يعنى قبل ذلك فى قتلى بنى قريظة لا أنه قتله يوم خيبر اه .

. . . .

إنها صفية بنت حُيَي ، فقالا : سبحان الله يا رسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وإنى خشيت أن يقذف فى قلبكما شراً فتهلكا » اه .

وفى الصحيحين أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم لما حاضت بمكة وظن أنها لم تطف طواف الإفاضة : « أحابستنا صفية » قالوا : إنها قد أفاضت ، قال صلى الله عليه وسلم : « فلا إذاً » أى فلا تحبسنا عن الرحيل إلى المدينة حيث كانت أفاضت ، وأما طواف الوداع فلا يحتبس لأجله اه .

أما زينب بنت خزيمة وأختها ميمونة بنت الحارث ، فلم يذكر فى ترجمتهما زيادة على ما تقدم فى الشرح تحتاج إلى الذكر .

وقد تكلم صاحب السمط تبعاً لغيره على كل امرأة ذكر أنه صلى الله عليه وسلم تزوجها ، كما تكلم على سراريه وبناته وغير ذلك ، مما ليس من موضوع كتابنا هذا .

كرامات ظاهرة لصحابيات

غير إنى رأيت أن أذكر معجزة له صلى الله عليه وسلم ظهرت كرامة لهذه الصحابية الجليلة ، التى قد ذكر أنه صلى الله عليه وسلم تزوجها ثم طلقها .

قال فى السمط الثمين (الأولى) : الواهبة نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم ، واختلف من هى، فقيل أم شريك غُزَيَّةَ بنت دُودَان ، وقيل بنت جابر العامرية ، وقيل أم شريك الأنصارية ، وقال صاحب الصفوة : هى أم شريك غزية بنت

. . . .

جابر الدوسية قال والأكثرون على أنها هى التى وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها ، فلم يقبلها لكبر سنها فلم تتزوج حتى ماتت .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : وقع فى قلب أم شريك الإسلام فأسلمت وهى بمكة وكانت تحت أبى العكر الدوسى ، ثم جعلت تدخل على نساء قريش سراً وتدعوهن للإسلام حتى ظهر أمرها لأهل مكة فأخذوها وقالوا لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا ولكننا سنردك إليهم ، قالت : فحملونى على بعير ليس تحتى شىء ، ثم تركونى ثلاثا لا يطعموننى ولا يسقوننى وكانوا إذا نزلوا منزلا أوثقونى فى الشمس وضربوا هم أخبيتهم واستظلوا منها وحبسوا عنى الطعام والشراب .

فبينما هم قد نزلوا منزلا وأوثقونى فى الشمس إذ وجدت برد شىء على صدرى فتناولته ، فإذا هو دلو من ماء فشربت منه قليلا ، ثم نزع منى فرفع ، ثم عاد فتناولته فشربت منه ، ثم رفع ، ثم عاد فتناولته ، ثم رفع مراراً ، ثم ترك فشربت حتى رويت ، ثم أفضت سائره على جسدى وثيابى ، فلما استيقظوا رأوا أثر الماء ورأونى حسنة الهيئة ، فقالوا تحللت فأخذت سقاءنا فشربت منه قلت : لا والله ولكن كان من الأمر كذا وكذا ، فقالوا : لئن كنت صادقة لَدينك خير من ديننا ، فلما نظروا إلى أسقيتهم وجدوها كما تركوها فأسلموا عند ذلك ، فأقبلت إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فوهبته نفسها بغير مهر فقبلها ودخل عليها ، خرجه فى الصفوة .

وعن عامر بن الفضل عن حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد قال هاجرت أم شريك الدوسية فصحبت يهوديا فى الطريق فأمست صائمة فقال اليهودى

. . . .

لامرأته لئن سقيتها لأفعلن بك فباتت كذلك حتى إذا كان آخر الليل إذا على صدرها دلو موضوع وصُفُنٌ فشربت ثم بعثتهم المدلجة فقال اليهودى إنى لأسمع صوت المرأة قد شربت فقلت لا والله ما سقتنى .

قوله صفن بصاد مهملة وفاء مرأسة ونون قطعة بساط ينسج من صوف الضأن أو من شعر المعز ، وهذا البساط يسمى عند المشارقة ساحة ويسمى شملة ويسمى عند الشناقطة إفليجاً بفاء مرأسة قبلها همزة وصل بعدها لام مكسورة بعدها ياء آخره جيم فتثنى هذه القطعة ويترك أحد طرفيها أطول من الثانى وتخاط من الجانبين ويجعل لها عروة فتكون كعلاَّفة الفرس التى يأكل فيها فيجعل المسافر فيها متاعه ثم يُرد الطرف الزائد على فمها وهى معروفة الآن عند كافة العرب بالمشرق كاد أن لايخلو منها بدوى وهى مثل نصف الوعاء المسمى بالخرج عند المشارقة وهو عبارة عن صُفْنَتين متصلتين يوضع على الدابة فتكون كل صفنة منه بجنب وأشبه شيء به عند الشناقطة الوعاء الذى يسمونه التَّرارَتْ بالمثناة الفوقية المفتوحة المشددة ورائين مفتوحتين بينهما ألف آخره مثناة فوقية ساكنة يصنعونه من الليف الأبيض الذى يسمونه (تَنْبَنَّ) بفتح المثناة الفوقية وسكون الموحدة ونونين مفتوحتين أخيرتهما مشددة وقوله (المدلجة) أى الرفقه السائرة فى آخر الليل اهـ .

ثم قال وكانت لها عُكَّة تعيرها من أتاها فاستامها رجل فقالت مافيها رُبٌّ فنفختها وعلقتها فى الشمس فإذا هى مملوءة سمنا قال وكان يقال من آيات الله عكة أم شريك .

ثم قال عن جابر عن أم شريك أنها كانت عندها عكة تهدى فيها سمنا أى دهنا بلغة الشناقطة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال فطلب منها صبيانها ذات

. . . .

يوم سمنا فلم يكن فقامت إلى العكة لتنظر فإذا هي مملوءة سمنا قال وصبت لهم منها حيناً أي زمنا ثم ذهبت تنظر مابقي فصبته كله ففنى ثم أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها أصببتيه أما إنك لو لم تصبيه لقام بك زمنا انتهى .

(قال محمد المصطفى) هذه الوقائع المنسوبة كلها لأم شريك تشعر من تأملها بأن أم شريك متعددة الذات متفقة الاسم فـكل واحدة منهن لها واقعة فجمعها من جمعها على واحدة بدون تأمل والله اعلم .

وإلى هنا انتهى ما أردت نقله من كتاب (السمط الثمين) وكان فراغي من هذه المبيّضة في أوائل صفر الخير عام خمسة وثمانين وثلاثمائة وألف هجرية بمكة المـكرمة .

تنبيــه

قد طبع هذا الـكتاب قبل عشر سنين فحرّفته المطبعة تحريفا شنيعا في حروفه وألفاظه وجمله فأعددت نسخة لتجديد طبعه طبعا صحيحا وافيا وسألت الله الـكريم من فضله أن ييسر طبعه ويوفق له من العلماء من يبذل جهده في تصحيح طبعه وأن يجعله خالصا لوجهه تعالى بخدمة نبيه صلى الله عليه وسلم وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين وأن ينفع به من قرأه أو كتبه أو اعتنى به وأن يكف عنه أعين الحاسدين وألسنة الجاهلين وتحريف المبطلين بحرمة نبينا محمد سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، وقد استجاب الله تعالى الدعاء وحقق الأمنية ، ولله المنّة ، والحمد لله رب العالمين .

كتبه الفقير إلى عفو ربه محمد المصطفى بن الإمام
العلوي الشنقيطي غفر الله له

المنظومة المشروحة

قَالَ أَسِيرُ ذَنْبِهِ المُقْتَرِفُ   لِرَبِّهِ بِكُلِّ مَا يَقْتَرِفُ
مَنْ ضَيَّعَ العُمْرَ فِى الاشْتِغَالِ   عَنِ العُلاَ وَهْوَ العُبَيْدُ غَالِي
تاب عليه ربُّه ووفقَهْ   وأصلحَ الرَّجا له وحقَّقَهْ
حتى ينالَ آمِنًا مَا يَرْتَجِي   مِن كُلِّ خير بافتِتاحِ المُرْتَجِ
أحمدك اللهم بالصَّلاَةِ   على الأمين دائِمِ الصَّلاَتِ
والآلِ والأصحاب والأزواج   ما ابْتَهَجَ النِّساء بِالزِّوَاجِ
هذا وَإِنَّ عِلْمَ أزواج النبى   وَمَا لَهُنَّ من شَرِيفِ النَّسَبِ
وَمَا اجْتَمَعْنَ مَعَهُ فِيهِ مِن أبْ   عِلْمٌ شريف كَسَبَائِكِ الذهَبْ
يَلَذُّ فِى الأَسْمَاعِ والطِّبَاعِ   وَمَنْ يُرِدْ فيه اتِّسَاعَ البَاعِ
فَلْيَسْتَمِعْ لِمَا نَظَمْتُ فِيهِ   وَاللهُ عَالِمٌ بِمَا أُخْفِيهِ
عَسَاهُ أن يَمُنَّ بِالخَلاَصِ   مِن كُلِّ مَا يَقْدَحُ فِى الإخْلاَصِ

نَكَحَ طَهَ مِن نِسَاءِ العَرَبِ   عَشْرًا وَمِن عَقِبِ هارُونَ النَّبِى
وَاحِدَةً وخُذْ عَلَى تَرْتِيبِى   تَزْوِيجِهِنَّ وَعَلَى تَهْذِيبِى
أَوَّلُهُنَّ حُبِيَتْ تَزْوِيجَهْ   خَيْرُ النِّسَاءِ أُمُّنَا خَدِيجَهْ
فَسَوْدَةٌ عَائِشَةٌ فَحَفْصَةُ   فَزَيْنَبٌ فَهِنْدٌ ثُم بَرَّةْ
أَيْ زَيْنَبٌ فَأُمُّنَا جُوَيْرِيَهْ   فَرَمْلَةٌ صَفِيَّةُ النَّضِيرِيَهْ
فَأُمُّنَا أُخْتُ بَنِي هِلَالِ   مَيْمُونَةٌ صَاحِبَةُ الكَمَالِ
قد انتَهَى تَرْتِيبُهُنَّ فَاسْتَمِعْ   عُقَيْبَهُ تَهْذِيبَهُنَّ تَنْتَفِعْ

من هَؤُلاَءِ مِنْ قُرَيْشٍ سِتُّ   بِهَا يُحَاشِينَا الأَذَى والمَقْتُ
خديجةٌ وَسَوْدَةٌ عَائِشَةُ   وحَفْصَةٌ وهِنْدٌ ثُم رَمْلَةُ

فأُمُّنا خَدِيجَةٌ من أَسَدِ سِبْطِ قُصَيٍّ ذِى العُلاَ والسُّؤْدَدِ
بنت خُوَيْلِدٍ أَبِى الغُرِّ الكِرَامْ آلِ الزُّبَيْرِ وَحَكِيمِ بْنِ حِزَامْ
يَجْمَعُهَا مَعَ ذُؤَابَةِ لُؤَىْ جَدُّهُمَا الْقَرْمُ مُجَمِّعٌ قُصَيْ
وأُمُّنَا سَوْدَةُ مِنْ لآلِ نَجْلِ لُؤَىٍّ عَامِرِ الْمِفْضَالِ
وهى بنتُ زَمْعَةَ بنِ قَيْسِ عَزِيزِ قَوْمِهِ بنِ عَبْدِ شَمْسِ
يَجْمَعُهَا مَعَ النَّبِيِّ العَاقِبِ جَدُّهُمَا لُؤَىٌّ ذُو الْمَنَاقِبِ
وَأُمُّنَـــا عَائِشَةٌ مِنْ تَيْمِ أَهْلِ الْمَكَارِمِ أُبَاةِ الضَّيْمِ
بنتُ أَبى بكر الْعَتِيقِ الْمُرْتَضَى خَلِيفَةٍ بَعْدَ نَبِيِّنَا الرِّضَى
نَسَبُهَا وَنَسَـــبُ النَّبِيِّ تَفَرَّعَا مِن مُرَّةَ الْأَبِيِّ
وَأُمُّنَا حَفْصَةُ مِنْ بَنِي عَدِى مَعَادِنِ الْخَيْرَاتِ أَشْرَافِ النَّدِى
بنتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِين عُمَرًا بَاسِطِ كَفِّ العَدْلِ فى كُلِّ الْوَرَى
يَجْمَعُهَا مَعَ النَّبِيِّ كَعْبُ جَدُّهُمَا الْحَبْرُ النَّقِىُّ النَّدْبُ
وأُمُّنا هِنْدٌ مِنَ الْقُرُومِ دَعَائِمِ الْعِزِّ بَنِى مَخْزُومِ
بنتُ أَبِى أُمَيَّةَ السَّمَيْذَعِ وَهْوَ الذى بِزَادِ رَكْبِهِ دُعِى
لِأَنَّهُ يَكْفِى الرِّكَابَ الزَّادَا فَكَمْ أَفَادَ مِنْ عُلاً وشَادَا
يَجْمَعُهَا مَعَ النَّبِيِّ مُرَّةْ جَدُّهُمَا بَدْرُ التَّمَامِ الغُرَّةْ
وأُمُّنَا رَمْلَةُ مِنْ سَرَاةِ سَادَاتِ عَبْدِ شَمْسِ السَّادَاتِ
بنتُ أَبِى سُفْيَانَ سَيِّدِ الحَضَرْ
وَالبَدْوِ مِنْ قُرَيْشٍ أَشْرَافِ مُضَرْ
يَجْمَعُهَا مَعَ إِمَامِ الرُّسُلِ جَدُّهُمَا عَبْدُ مَنَافِ الْعَلِى

هَذَا وَلِلتَّهْذِيبِ رَعْىٌ قَدَّمَا رَمْلَةَ عَنْ مَحَلِّهَا الَّذْ عُلِمَا
اذْهِىَ فى مَرْتَبَةٍ تَلِى جُوَيْـــرِيَةَ قَبْلَ أُمِّنَا بِنْتِ حُيَىْ

وَمِن سِوَاهُم قَدْ بَنَى بِخَمْسِ ... بِهِنَّ يَا قُدُّوسُ قَدِّسْ نَفْسِي
الزَّيْنَبَانِ أُمُّنَا جُوَيْرِيَهْ ... صَفِيَّةٌ مَيْمُونَةُ الهِلَالِيَهْ
فَبِنْتُ جَحْشٍ بِنْتُ عَمَّةِ النَّبِي ... بَرَّةُ سَمَّاهَا النَّبِي بِزَيْنَبِ
مِن أَسَدٍ وَهْيَ بِعَقْدِ اللهِ ... نِكَاحَهَا أَزْوَاجَهُ تُبَاهِي
يَجْمَعُهَا مَعَ النَّبِيِّ المصطفى ... جَدُّهُمَا خُزَيْمَةُ أَخُو الوَفَا
وَمِن بَنِي مُصْطَلِقٍ جُوَيْرِيَهْ ... أَيْمَنُ عُرْسٍ أُمُّنَا الخُزَاعِيَهْ
نَالَ بِهَا عَشِيرُهَا إِذْ أُسِرُوا ... مَالَمْ يَنَلْهُ بِالنِّسَاءِ مَعْشَرُ
إِذْ أُعْتِقُوا وَهُمْ زُهَاءُ مِائَةِ ... بَيْتٍ مِن اسْتِرْقَاقِ أَهْلِ المِلَّةِ
وَهِيَ بِنْتُ حَارِث نَجْلِ أَبِي ... ضِرار القَائِدِ صَاحِبِ النَّبِي
يَجْمَعُهَا مَعَ النَّبِيِّ الهادى ... جَدُّهُمَا إِلْيَاسُ ذُو الأَيَادِي
وَأُمُّنَا صَفِيَّـــــــــةُ الصَّفِيَّهْ ... ذَاتُ المزَايَا الجَمَّةِ العَلِيَّهْ
إِذْ عَمُّهَا مُوسَى وَزَوْجُهَا النَّبِي ... وَجَدُّهَا هَارُونُ عَالِي الرُّتَبِ
بِنْتُ حُيَيٍّ قَائِدِ اليَهُودِ ... قَرْمِ النَّضِيرِ وَهْوَ ذُو جُحُودِ
بِالمصْطَفَى نَعُوذُ بِالرَّحْمٰنِ ... مِنْ مُوجِبَاتِ المَقْتِ وَالحِرْمَانِ
وَمِن بَنِي هِلَالٍ اثْنَتَانِ ... مَيْمُونَةٌ وَزَيْنَبُ الأُخْتَانِ
مَيْمُونَةٌ آخِرُ ذِي اللآلِي ... وَهِيَ بِنْتُ حَارِثِ الهِلَالِي
هَذَا وَإِنَّ المَيْلَ لِلتَّهْذِيبِ ... أَمَالَنِي هُنَا عَنِ التَّرْتِيبِ

إِذْ زَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ تَلِي ... حَفْصَةَ فِي التَّرْتِيبِ دُونَ خَلَلِ
وَمُضَرُ الحَمْرَاءِ ذُو المَكَارِمِ ... جَدُّهُمَا مَعَ النَّبِيِّ الخَاتِمِ

أُمُّهُمَا فِي الفَخْرِ لَا تُبَارَى ... خَيْرُ عَجُوزٍ فِي الوَرَى أَصْهَارَا
نَبِيُّنَا حَمْزَةُ عَبَّاسُ عَلِي ... أَخُوهُ جَعْفَرُ أَبُو بَكْرِ العَلِي
مُجَدَّعٌ عُبَيْـدَةُ المطَّلِبِي ... وَصِنْوُهُ الطُّفَيْلُ عَالِي الرُّتَبِ

وَهِيَ أَيْضًا جَدَّةُ المِقْدَامِ سَيْفِ الإِلَهِ خَالِدِ الهُمَامِ

وَهِيَ هِنْدُ بِنْتُ عَوْفِ الحِمْيَرِي عَلَى الشَّهِيرِ عِنْدَ أَهْلِ السِّيَرِ

وَقِيلَ إِنَّهَا مِنْ آلِ أَسَدِ لاَ شَمَتَ اللهُ بِنَا ذَا حَسَدِ

صَحِبَ مِن آبائِهِنَّ المصْطَفَى عُمَر والصِّدِّيقُ خَيْرُ الخُلَفَا

والحارثُ القَرْمُ أَبُو جُوَيْرِيَهْ وَنَجْلُ حربِ الهُمَامُ فَادْرِيَهْ

قد انتَهَى مارُمْتُهُ مُهَذَّبا مِثْلَ الوَذَائِلِ تَشُوبُ الذَّهَبَا

أَرْجُو بِهِ فِي دَرَجَاتِ الآخِرَهْ مَزِيَّةً عَلَى المَزَايَا فَاخِرَهْ

وَالفَوْزَ فِي الدَّارَيْنِ بِالْأَمَانِ وَنَيْلَ مَا أَبْغِي مِنْ الامَانِي

والحمـــــــد لله أَعَمَّهُ عَلَى إِتْمَامِهِ بِعَوْنِ ذِي الطَّوْلِ عَلاَ

مُصَلِّيًا مُسَلِّمًا مَالاَ يُعَدّْ عَلَى المُهَيْمِنِ خُلاَصَةِ مَعَدّْ

وآله وصحبـــه بِلاَ انْتِهَا مَا بَرَّ عَبْدٌ بِامْتِثَالٍ وانتِها

فَنَالَ مِنْ مَوْلاَهُ كُلَّ مَا اشْتَهَى ثُمَّ الَّهُ رَجَاؤُه قـد انتَهَى

تمت المنظومة المباركة

مباحث الكتاب

تمت هذه الطبعة فى ١٩ شوال سنة ١٣٨٥ هـ (٩ فبراير سنة ١٩٦٦ م) بالقاهرة